نافذة على العالم
رسالة اليونسكو
العدد ١٨٧
اليونسكو
٧ قروش
الأسقوثيون الرحل
يصوغون الذهب

كنوز الفن العالمى



١١٥

الإعرابي

توجد اساطير كثيرة عن القديس خرستوفر ، من بينها واحدة عن أنه حمل مرة صليب المسيح عبر نهر ، ومن ثمة اكتسب اسمه (خرستوفروس باليونانية : معناها حامل المسيح) . ولقد كان وفقا لبعض الروايات عملاقا له وجه كلب ، وحصل على تقاسيم الوجه البشرى فى المعمودية فقط . وهناك قصص اخرى تروى ان القديس خرستوفر كان رجلا بهى الطلعة بدرجة ممتازة . وعاش فى القرن الثالث . وانه حظى بمثل هذه الاهتمامات المتكررة من الجنس اللطيف حتى انه توسل الى الله أن يخلصه من الاغواء . وقد استجيبت صلاته باعجوبة فمنذ ذلك الحين كانت النساء اللاتى ينظرن الى وجهه الجميل لا يشاهدن الا رأس كلب . ومن ثمة كان القديس كرستوفر يرسم فى الغالب برأس كلب كما فى هذه الصورة الجصية التى رسمها فى عام ١٧٧٩ فنان اغريقى : وهى فى كنيسة بيزنطية ترجع الى القرن الثالث عشر ، فى لندوس بجزيرة رودس .

رسالة اليونسكو

ISSN 0304-3215

تصدر شهريا عن :

هيئة اليونسكو

ميدان فونتينوا – باريس – ٧

تصدرها اليونسكو باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية

رئيس التحرير

ساندى كوفلر

وتوجه الى سيادته جميع الرسائل فى باريس

وتصدرها شعب قومية باثنتى عشرة لغة أخرى

الطبعة العربية لرسالة اليونسكو
١ شارع طلعت حرب – القاهرة
تليفون: ٢٩٤٠٢٩٢

رئيس التحرير

عبد المنعم الصاوى

هيئة التحرير

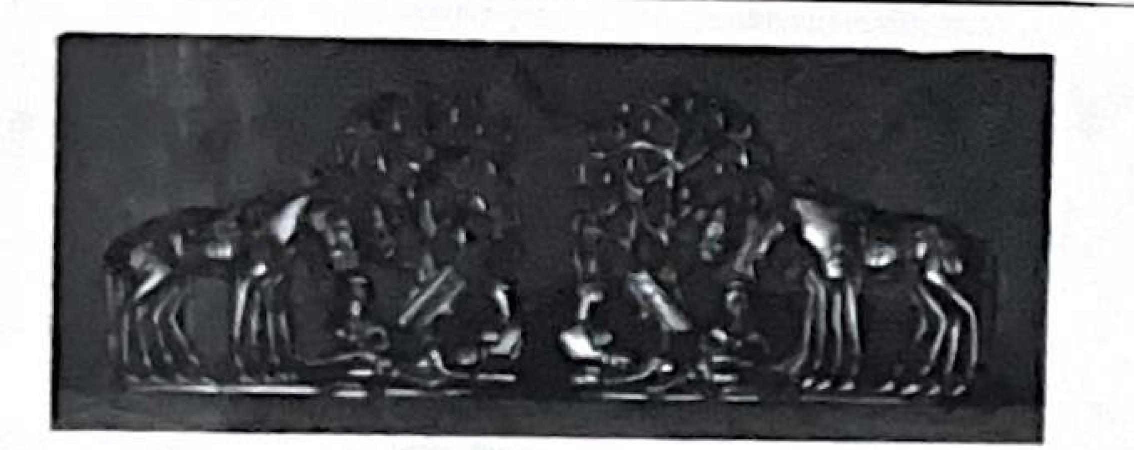
د. مصطفى كمال طلبه
د. السيد محمود الشنيطى
د. عبد الفتاح اسماعيل
عثمان نويه
محمود فؤاد عمران

الإخراج والتصميم

روبرت چاكمين
عبد السلام الشريف
عبد العزيز عبد الصادق

فبراير ١٩٧٧

صفحة	
٤	**العالم الاسقوثى** حضارة تمتاز بالقوة والنشاط فى سهوب أوراسيا منذ ٢٥٠٠ سنة بقلم بوريس · ب· بيوتروفسكى
٩	**راوية العصور القديمة ومؤرخها العظيم بين الاسقوثيين** علم الآثار القديمة يؤيد تاريخ هيرودوت بقلم ياروسلاف · ف· دومانسكى
١٥	**ثلاث اوان تحكى اسطورة الملك تارجيتاوس** بقلم ديمترى · س· رئيفسكى
١٧	**اربعة من الأثريين الأوكرانيين يعرضون اكتشافاتهم الحديثة**
١٧	**الاناء الذهبى من جايمانوف**
١٩	**على قلادة الأمير نتمثل حياة شعب واعماله**
٢١	**آلات الصيد فى تاج جواد**
٢٢	**الصفحات الملونه – روائع الفن الاسكيتى**
٣١	**بازيريك** طريقة بدوية للحياة · قبور بجبال سيبيريا تحت اعماق الجليد منذ ٢٥ قرنا بقلم ب· زافيتو خينا
٣٤	**الوشم برسوم الحيوانات الخرافية التى تتلوى على جسم رجل من بازيريك**
٣٨	**خيول للحياة الآخرة** بقلم ميخائيل ب· جرايازنوف
٤٢	**الشامانات والشامانية :** **وحلات الأبطال الى بلاد خرافية** بقلم جريجورى م· بونجارد – لفين وادفين أ · جرانتوفسكى
٤٨	**الأوسيتيون : استوثيو القرن العشرين** **بقلم : فاسيلى ايفانوفتش أبايف**
٥٠	**من هنا وهناك**
٢	**كنوز الفن العالمى**



صورة الغلاف

فارسان يتفيأن ظلال شجرة مورقة · يمسك احدهما بلجام جواديهما ويرقد الآ
متمددا ورأسه فى حجر امرأة جالسة · يظهر هذا المشهد المستمد من حياة البدو الرحل
السهوب ، على بروشين (دبوسين يعلقان على الصدر للزينة) ذهبيين متماثلين ، كانا يلب
فيما مضى على حزام السيف ، وكان القيصر بطرس الأكبر يحتفظ بهما ضمن مجمو
الفنية · وهما من النماذج العديدة للعبقرية الخلاقة التى امتاز بها فنانو السهوب ؛ م
الفرسان الاسقوثيين والسيبريين منذ ٢٫٥٠٠ سنة · وقد خصصنا هذا العدد كله لهذا ا
الثقافى الذى ازدهر فى العصور القديمة عند ملتقى قارتى أوربا وآسيا .

العالم الأسقوثي

حضارة تمتاز بالقوة والنشاط في سهوب أوراسيا منذ ٢٥٠٠ سنة

يعد هذا الأيل الذهبي (انظر الصورة الملونة ص ٢٣) نموذجا رائعا للفن الحيواني النموذجي عند الاسقوثيين . اكتشف في احد القبور باقليم كوبان في الشمال الشرقي للبحر الاسود . صوره صانع ماهر من رجال السهوب في اوائل القرن السادس ق.م. ويقول العالم الأثري السوفيتي الكسندر شكركو ، وهو حجة في الفن الاسقوثي القديم : « ان الفنان لم يبالغ في اهتمامه بتصوير جسم الحيوان او في اضافة بعض التفاصيل الدقيقة اليه ، وانما عني بابراز صفاته الباطنية : قوته ؛ وسرعته ، ووحشيته . وجدير بالذكر ان زخرفة قرون الحيوان واحكام الصنعة يضفي على الصورة طابع الأبهة والفخامة . وكان الأيل من الموضوعات المفضلة في الفن عند الاسقوثيين .

تصوير : ل. تراسوفا ، لنينجراد



بقلم: بوريس ب. بيوتروفسكي

بوريس ب. بيوتروفسكي : عالم اثري سوفيتي . عالم دولي حجة في تاريخ الاسقوثيين وفنهم . عضو اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي والجمهورية السوفيتية الاشتراكية الأرمنية . مدير متحف هرمتاج (لنينجراد) الذي يضم مجموعة ثمينة من المصنوعات الاسقوثية . استاذ ايضا لتاريخ الشرق القديم بجامعة لنينجراد . الف دراسات هامة في تاريخ وثقافة وفن الشرق القديم والقوقاز . زميل مراسل للاكاديمية البريطانية والاكاديمية الفرنسية للكتابات والنقوش الأثرية والآداب والاكاديمية البافارية للعلوم .

لم يكتشف العلماء حقيقة العالم الاسقوثي وامتداده الا منذ عهد قريب ، على الرغم من أن التاريخ قد سجل وجود الاسقوثيين منذ زمن طويل وعلى الرغم من أنهم لا يعدون من الشعوب التي أسدل عليها ستار النسيان .

وقد كتب هيرودوت عنهم في القرن الخامس ق.م. واورد في تاريخه عددا من الأساطير الاسقوثية أو الاغريقية ؛ وذكر أن البلاد التي يستوطنونها كانت من قبل موطنا للشعب السيبيري .

وتتناثر المقابر في مناطق السهوب الواقعة شمال البحر الأسود ، وهي موطن الاسقوثيين الذين استرعوا أنظار هيرودوت عندما قدم للتجارة في المستعمرات التجارية التي اقامها الاغارقة على ساحل البحر . وقد كانت هذه المقابر التي بنتها القبائل البدوية المتجولة في السهوب موضوعا لكثير من الأساطير . ومن المؤكد أن الباحثين عن الكنوز الذين نهبوا هذه المقابر قد اثروا أكثر من مرة .

وقد بنى الأسقوثيون كثيرا من هذه المقابر ، وفيها اكتشف الأثريون الأولون نماذج فذة لنوع خاص من الفن تمتاز به الحضارة الاسقوثية ، ويرجع تاريخها الى الحقبة الممتدة من القرن الخامس الى القرن الثالث ق.م. ومنذ ذلك الوقت لم تمر سنة دون عثور رجال الآثار الأوكرانيين على كشوف اثرية جديدة .

وقد بدأ التنقيب في هذه المقابر منذ زمن طويل . وفي ١٧٦٣ عثر رجال الآثار في مقبرة غنية خاصة بالعصر الاسقوثي القديم بالقرب من مدينة اليزافتجراد (كيروفجراد الآن) على عدد كبير من الآثار الذهبية والفضية ؛ ومن بينها خنجر حديدي قصير يستعمله الاسقوثيون ، ويزدان غمده ومقبضه طبقا للأسلوب الشرقي بصور حيوانات غريبة وآلهة بشرية تحتشد حول شجرة مقدسة . وقد وضعت هذه الآثار الهامة في متحف كونستكامر وهو أول متحف روسي حقيقي أسسه بطرس الأكبر في ١٧١٤ .

وكان متحف كونستكامر يضم من قبل مجموعة من التحف الذهبية التي اكتشفت في مقابر سيبيريا ثم عرف فيما بعد أنها تحف اسقوثية . وقد قدمت هذه التحف الى بطرس الأكبر في ١٧١٥ و ١٧١٦ هدية من نيكيتا ديميدوف صاحب المناجم والمصانع المعدنية في جبال الأورال ومن الأمير جاجارين حاكم طوباسك . وفي ١٧١٨ أصدرت الحكومة مرسوما خاصا يقضي بأن « تجمع من الأرض والماء كل النقوش العتيقة ، والأسلحة والأطباق القديمة . وكل ما هو قديم وغريب » .

ولم يتبين العلماء حقيقة « مجموعة العاديات السيبيرية العجيبة والغامضة » كما كان يسميها الأثريون في القرن التاسع عشر الا عندما دلت البحوث الأثرية على وجود نوع من الوحدة الثقافية الكبيرة في منطقة واسعة تضم السهوب والتلال والمراعي الممتدة بين خطي عرض ٤٠ و ٥٠ من نهر الدانوب غربا الى سور الصين العظيم شرقا ؛ وهي مسافة تزيد على ٧,٠٠٠ كيلو متر .

وقد اكتشف الأثريون في هذه المنطقة من أوكرانيا الى القرم قطعا متشابهة من عدة الخيل ، والسيوف الحديدية ، ومقابض السهام المثلثة ، والزخارف ؛ وكلها يرجع تاريخها الى العصر الاسقوثي . ويدل التشابه الثقافي بين الأقاليم المختلفة في استخدام الخيل على نطاق واسع فيما يسمى « بالطراز الحيواني الاسقوثي السيبري » .

ولكن هذا التشابه كان موجودا قبل ذلك ، ويمكن أن نراه بوضوح في العصر السيمري السابق على العصر الاسقوثي (أي في القرن الثامن ق.م) . والدليل القاطع على ذلك هو تلك التحف التي اكتشفت في مقبرة أرزهان بجمهورية توفا الاشتراكية السوفيتية الواقعة في أقصى الشرق (انظر المقال المنشور في ص ٣٨) ؛ فقد اشتملت هذه المقبرة التي ضمت رفات قائد عسكري على عدد من الآثار المماثلة لما اكتشف في أوكرانيا وبلغاريا . كما اشتملت على قطع من النسيج الفارسي الأصل الذي يرجع تاريخه الى عهد أقدم بنحو ٣٠٠ سنة من عهد السجاد المحبي المشهور الذي اكتشف خلال حفريات مقبرة بازيريك بمنطقة الطاي (انظر المقال المنشور في ص ٣٦) .

الشرقية والغربية لهذا العالم . ولذلك كانت العناصر التي تكون حضارتها المشتركة تنتقل – اذا جاز هذا التعبير – من قبيلة الى أخرى كما ينتقل الكرة . فتفقد طابعها الأصلي خلال هذه العملية .

ويجب أيضا أن لا يعزب عن البال أن هؤلاء القوم الذين استخدموا عربة القتال والخيل سواء منهم السيمريون والاسقوثيون كانوا أولا وقبل كل شيء جنودا مدججين بالسلاح ، يمتطون الخيل ؛ ويكثرون من التنقل من مكان الى مكان . وكانت غزواتهم الحربية السريعة الحركة تتوغل – كما قال هيرودوت – في أعماق آسيا الصغرى .

وقد أثبتت منذ ذلك الوقت المصادر الشرقية القديمة : والشواهد الأثرية ، والكتابية في اقليم آشور بخاصة صحة ما رواه هيرودوت . وتشير روايات رواة ملك آشور المدونة في أرشيف الألواح المحفورة من الصلصال التي عثر عليها في نينوى عاصمة آشور الى ظهور السيمريين بآسيا الصغرى في أواسط القرن الثامن ق.م.

وقد وردت الاشارة الى اشتراك الاسقوثيين بعد ذلك بقرن من الزمان في شن غارة شعواء على آشور . وذلك في تاريخ الملك البابلي نابوبولاصر الذي يسرد الأحداث الواقعة بين سنة ٦١٦ وسنة ٦٠٩ ق.م ؛ وفي رواية أشار فيها المؤرخ الأرمني موسى خورينائي الى قيامهم بنهب مدينة نينوى في القرن الخامس .

وجدير بالذكر أن الحفريات في قلاع القرن السابع فيما وراء القوقاز (بمنطقة كاربير – بلر بالقرب من اريفان) . وفي المنطقة الوسطى من اقليم أورارتو القديم بالقرب من بحيرة وان (في تركيا الحالية) قد كشفت عن قطع أثرية من عدة الخيل ، والأسلحة الحديدية ؛ والعقود ، مشابهة للآثار التي عثر عليها في المقابر الاسقوثية باقليم البحر الأسود .

وتتجلى بوضوح علاقة الاسقوثيين بآسيا الصغرى فيما يسمى « بكنز زيويه » بلدة ساكز في كردستان الفارسية . الذي اكتشف خلال الحرب العالمية الثانية . وقد ثبت فيما بعد أنه قبر لأكبر آشي في القرن السابع ق.م . وعثر

وهكذا تهيأت في العصور السيمرية الأحوال الملائمة لقيام اتصالات واسعة النطاق بين المناطق المتباعدة . والملائمة لايجاد اقتصاد عام أشبه باقتصاد البادية يقوم على تربية الماشية ، وتسمح فيه تربية الخيول بالتنقل عبر مسافات طويلة .

وكانت العلاقات المتشابكة بين القبائل المختلفة عوضا عن فقدان الموارد الطبيعية وبخاصة الرواسب المعدنية في الأقاليم المختلفة . فالمناطق الشاسعة التي انتشرت فيها الحضارة الاسقوثية وصنعت فيها أشهر المواد من الذهب والفضة أو البرونز العالي الجودة خلت من المعادن الأولية اللهم الا في أماكن قليلة ؛ كما أن الأراضي الممتدة من نهر الدانوب الى شرقي كازاخستان خلت من القصدير الذي لا يمكن بدونه تحويل النحاس الى برونز ، والذي يوجد في أوربا الوسطى وبوهيميا .

وبطبيعة الحال لم يكن هناك اتصال مباشر أو دائم بين القبائل البدوية النازلة في الأطراف

فيه على مجموعة كبيرة من الآثار المصنوعة تزدان بصور يتجلى فيها فن الشرق الأدنى القديم . والفن الاسقوثي .

هذا والتحف الذهبية ذات الطراز الاسقوثي التي اكتشفت في زيويه شبيهة بالآثار التي اكتشفت في المقابر الاسقوثية ؛ كالسيف الذي موه مقبضه بالذهب . والغمد الذي عثر عليه في ١٧٦٣ بمقبرة الييزافتجراد (كيروفجراد) في أوكرانيا . والسيف ذي المقبض الذهبي والفأس اللذين عثر عليهما في مقابر كليرمس باقليم كوبان التي أجرى الحفر فيها سنة ١٩٠٢

وتجمع كل هذه الآثار بين الأفكار الاسقوثية الفنية (فكرة الغزال المضطجع) وبين الصور الخيالية الشرقية (الشجرة المقدسة التي تحيط بها الآلهة والحيوانات الغريبة) . ولا نعدو جانب الصواب اذا قلنا انها تقليد للمصنوعات الأورارتية مع ادخال بعض التعديلات باضافة عناصر ذات أسلوب فني اسقوثي محض .

وقد بذلت محاولات لنسبة مولد الفن الاسقوثي الى عصر الحملات التي شنها الاسقوثيون على آسيا الصغرى . ولكن هذه النظرية تفندها نماذج الفن الاسقوثي ؛ والفن قبل الاسقوثي ، التي اكتشفت في سيبريا ، والتي تسبق في تاريخها آثار زيويه (أي القرن السابع ق.م) .

وتطلق كلمة « اسقوثي » اليوم على عدد كبير من القبائل التي لا تربطها سلالة واحدة ، وانما يغلب عليها الطابع الفارسي القوي في أسماء الأشخاص والأماكن . ويقتصر اطلاق هذا الاسم غالبا على القبائل التي تقطن في السهول الساحلية لاقليم البحر الأسود .

ولكن علماء الآثار اعتبروا أن الآثار الاسقوثية القديمة في هذا الاقليم ترتبط بحضارات السهوب القديمة التي يرجع تاريخها الى أواسط الألف الثاني ق.م. ونحن نستخدم في هذا المقال كلمة « اسقوثي » للدلالة على معنى أوسع يدخل في صميم العالم الاسقوثي حشدا كبيرا من القبائل التي تشترك في أوضاع اقتصادية وثقافية واحدة ، وتنتشر على مساحات واسعة .



لبين لنا بعض الجواهر الاسقوثية تفاصيل عديدة عن ملابس البدو في السهوب ، وأسلوب حياتهم ، وعاداتهم. ومن امثلة ذلك هذان الراكبان الملتحيان اللذان يزدان بهما طرفا هذه القلادة المفتوحة . يرتدي الفارسان قفطانين يصلان الى الكعبين ، ويربطان عند الخصر . وهما يمتطيان الجوادين بدون سرج . يبرز الجوادان من طرفي القلادة المنسوجين من ستة خيوط ذهبية مربوطة على هيئة قصب موشى بالزخارف الدقيقة ، ومطعم بالمينا . صور الفنان أعراف الخيل وطقمها وشكائمها بدقة بالغة . وهذه القلادة من الطراز الاغريقي الاسقوثي . وتزن أكثر من ٢٦٠ جراما . وقد اكتشفت في ١٨٣٠ . وكانت تحيط بجيد احد شيوخ القبائل مدفونا في قبر بشبه جزيرة القرم يرجع تاريخه الى القرن الرابع ق.م .

وفي الحقبة الممتدة من القرن السادس الى الثالث ق.م كانت السهوب الموجودة بين نهر الدون والفولجا وجبال الأورال موطنا لحضارة مماثلة لحضارة الاسقوثيين في منطقة البحر الأسود وكان أصحاب هذه الحضارة الذين سماهم الاغريق « السيرماتيين » متصلين أيضا بالقبائل النازلة في شرق كازاخستان ؛ الذين تتمثل حضارتهم بشكل رائع في سلسلة من البروشات الذهبية التي تزدان بصورة الغزال المضطجع والتي وجدت في مقبرة تشيليكتنسكي في القرن السادس .

وقد امتدت هذه الاتصالات فيما وراء سهوب كازاخستان الى جبال الطاي التي عثر في مقابرها المتجمدة على مجموعة من الآثار المصنوعة من الخشب والعظام واللباد والمعادن ، لم يطرأ عليها تغير ، وتتجلى فيها آثار الفن الصيني والفارسي والاسقوثي .

ولا ريب أن تطور الحضارة الاسقوثية في البلاد الواقعة شمال البحر الأسود تأثرت بالمستعمرات التجارية التي أقامها الاغارقة على ساحل هذا البحر في القرن السابع ق.م. ولكن الاغارقة أنفسهم سبق لهم الالتقاء بالاسقوثيين لم تتأثر حضارتهم بأي عوامل خارجية . ولذلك فان المواد التي صنعها صاغتهم خصيصا لزبائنهم الاسقوثيين يمكن تمييزها بسهولة من المصنوعات الاسقوثية المحضة . ونحن نعرف اليوم آثارا من كلا النوعين نتيجة للحفريات الأثرية .

ومما يجدر ذكره أن الحفريات التي كانت بداية لدراسة منهجية للآثار الاسقوثية قد أجريت في مقبرة كول أوبا بالقرب من كيرش على المضايق التي تربط البحر الأسود ببحر ازوف في ١٨٣٠ . وقد ظهر أن القبة الحجرية تحت المقبرة تحتوي على مقبرة غنية من مقابر القرن الرابع ق.م تضم مجموعة من الجواهر والحلي الاغريقية الصنع . ومن الواضح أن بعض هذه القطع ومنها بروش ذهبي يزدان بصور الفرسان الاسقوثيين قد صنع خصيصا للزبائن الاسقوثيين .

ومن الآثار الهامة زهرية دائرية الشكل مصنوعة من الالكتروم (مزيج طبيعي من الذهب والفضة) يزدان جسمها بأربع مجموعات من الأشكال التي تصور أسطورة اغريقية حول تأسيس الأسرة المالكة الاسقوثية ؛ وقد دونها هيرودوت في تاريخه أيضا .

والمناظر الموضحة على الزهرية (شرحناها بالتفصيل في المقال المنشور في ص ١٥ و ١٦) تصور الجهود التي بذلها ثلاثة من أولاد هرقل (تارجيتوس الاسقوثي) والأفعى المؤلهة الغريبة ليقرروا أيهم يرأس القبيلة بأن يكون أول من يحني قوسا تركه أبوهم عند أمهم . وقد أخفق ولدان في هذا الامتحان وأصيبا بجروح خطيرة ، ونجح الابن الأصغر واسمه أسقوث .

وجدير بالذكر أن الحفائر التي أجريت في



يظهر المحاربون والأسود في هذا المشط الذهبي الذي اكتشف في قبر اسقوثي ببلدة سلوخا بوادي الدنيبر الأسفل في اوكرانيا • تم تصوير مجموعة المحاربين والأسود الرابضة اسفل منهم بالنقوش البارزة على كلا الجانبين بحيث توهم انها منحوتة من كل جانب • سقط احد المتحاربين عن صهوة جواده ، ورقد الجواد خائر القوى على الأرض ؛ والمحاربون الثلاثة اسقوثيون ، ولكن الفنان الاغريقي الذي صنع المشط البالغ عرضه ٤ بوصات اضاف اليه عناصر اغريقية منها الخوذات والدرع (انظر المقال ص ١٥)

تصوير ل· بولتين

متحف متروبوليتان للفن ، نيويورك

عدد كبير من المقابر · في السهوب الواقعة على ساحل البحر الأسود ، وفي شبه جزيرة القرم ؛ وفي شمال القوقاز ، خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر · قد كشفت النقاب عن عدد من النماذج الفخمة للفن الاسقوثي ؛ والمصنوعات الاغريقية التي طلبها الاسقوثيون ·

وكانت الأفكار الفنية الاسقوثية النموذجية هي الغزال المضطجع وقرون الوعل الشبيهة بأغصان الشجر والنمر · ومن المحتمل انها كانت رموزا للقبيلة · وقد ازدانت بصور هذه الحيوانات البروشات الذهبية الصلبة على التروس التي وجدت في مقابر القرن السادس باقليم كوبان ، كما ازدانت بها في العادة جعبة السهام ·

وتتجلى بوضوح الصلات بين الاسقوثيين وجيرانهم الشرقيين والغربيين في الآثار التي اكتشفت في المقابر · ومن ذلك أنه عثر في المقابر الاسقوثية في أوكرانيا على عدد من آثار تراقيا . ومن أبرز نماذجها ذلك اللجام المزركش بالفضة والمكتشف في مقبرة خومينا موجيلا في ١٩٧٠ · ومن زخارفه بروشات نقشت عليها رؤوس بعض الحيوانات بدقة بالغة .

وكانت محتويات مقبرة تشرتوملك التي حفرها ١٠١· زابلين تتضمن زهرية فضة نقشت عليها صور مربي الخيول الاسقوثيين بشكل بارز ؛ وسيفا حديديا بعد مقبضه الذهبي المزدان بصورة رأسين من رؤوس العجول ومنظر من مناظر الصيد نموذجا رائعا للزخارف الفارسية في القرن الخامس ق·م ·

ويحتمل أن يكون هذا السيف من غنائم الحروب الاغريقية الفارسية أو الاسقوثية الفارسية ، وله غمد ذهبي من صنع الاغريق يصف معركة مع الفرس تشبه مشاهدها مشاهد معركة مراثون التي تزدان بصورها المعابد الاغريقية في القرنين الخامس والرابع ق·م·

ولم تكن الآثار الفارسية (التي تنتمي الى الأسرة الأخيمينية) من الأمور النادرة في المقابر الاسقوثية · من ذلك أن أحد المدافن العديدة في مقبرة بلزلتسا العظيمة في شبه جزيرة تامان التي حفرت بين سنة ١٨٦٤ وسنة ١٨٦٨ كان يشتمل على أثرين هامين من آثار الشرق الأدنى ، أحدهما خاتم ذهبي أخيميني يصور ملكا يصارع أسدا ، والآخر تميمة مصرية من خزف مزخرف تصور رأس الاله بيس ؛ وهي صورة مصغرة لها وجه يشبه وجه الهولة · ووراء الرأس من الريش أو سعف النخيل · ويحتمل أن تكون هذه التميمة قد وصلت من طريق فارس شأنها في ذلك شأن الوعاء المرمري المصري الذي اكتشف في جبال الأورال والذي يشتمل على نقوش هيروغليفية ومسمارية يرد فيها ذكر اسم الملك الأخيميني أتكزرسيس ·

ومما تقدم يتضح أن الحضارة الاسقوثية وطدت علاقاتها مع البلاد المجاورة والبعيدة التي اسهمت في ايجاد صلة بين أوربا الشرقية والشرق الأقصى ، وانشاء الطريق الواسع من الشرق الى الغرب الذي أصبح مفتوحا في منتصف الألف الأخير قبل الميلاد · والذي كان يمكن أن يصبح حتى القرن السادس عشر الميلادي هو الطريق الحريري الشهير الذي يمتد من البحر المتوسط الى نهر هوانج هو مارا بايران وآسيا الوسطى وتركستان الصينية . والحق أن العالم الاسقوثي جدير بأن يتبوأ مكانه في التاريخ القديم من حق وجدارة ·

راوية العصور القديمة ومؤرخها العظيم بين الأسقوثيين

علم الآثار القديمة يؤيد تاريخ هيرودوت

بقلم : ياروسلاف ف. دوماتسكي

في منتصف القرن الخامس ق·م غادر فتى في ميعة الصبا – اسمه هيرودوت – مدينة هاليكرنسوس – مسقط رأسه في آسيا الصغرى – وشرع في أسفاره التي طوحت به في مطارح الغربة من غرب البحر المتوسط الى بلاد الرافدين ·

وكان على هيرودوت أن يتجشم وعثاء السفر عبر مسافات شاسعة تفصل بين العديد من البلاد والشعوب المختلفة · كان عليه أن ينتقل خلال بحر ايجه الى جزر الأرخبيل ؛ ومدن بيلو بونيز ، وأن يتجه شرقا الى بابل ، وغربا الى صقلية ، وجنوبا الى مصر وضفاف النيل ، وشمالا الى تراقيا وبلاد البلقان · وفي ذات يوم وصل هيرودوت الى مدينة اولبيا ؛ احدى مدن المستعمرات الاغريقية الواقعة في الشمال على سواحل البحر الأسود ·

وكانت مدينة اولبيا قد تأسست قبل ذلك بقرن ونصف قرن · عند مصب نهر بج · وكانت مدينة مزدهرة ينطبق اسمها على مسماها اذ كانت اولبيا تعني في اللغة الاغريقية معنى المدينة الغنية ·

ولكن على الرغم من أن فتى هاليكرنسوس كان يتوق الى معرفة كل شيء فانه عندما وقف على أسوار اولبيا لم يكن يعنيه أن يعرف ماضيها او حاضرها ، بل كان يتطلع الى السهل الشاسع الذي امتد أمامه الى مسافة بعيدة ·

وفي هذا السهل وفي مكان ما وراء الأفق ، كان يعيش الأسقوثيون ؛ أولئك القوم الذين دوخوا دارا · ملك الفرس ، بعد حرب طاحنة ·

ياروسلاف ·ف· دوماتسكي : من كبار المؤرخين والأثريين السوفيت ؛ ومن كبار موظفي متحف هرمتاج بمدينة لينينجراد · حجة في الآثار القديمة بالاقليم الواقع شمال البحر الأسود · ألف عددا من الكتب عن هذا الاقليم · وقام باجراء الحفائر في كثير من الأماكن الأثرية على امتداد الأجزاء السفلى من نهر بج في اوكرانيا ·

تصوير ل· ترامونا – لينينجراد ·

الافريز الذي يوجد في أعلى هذه القارورة – وهي قارورة ذهبية وفضية لحفظ الخمر – والذي يعلو الرسوم النباتية والحيوانية على جوانبها ، يبين الاسقوثيين وهم يشدون قوائم جيادهم بالشكال · اكتشف هذا الوعاء بمقبرة تشرتوملك بالقرب من نهر الدنيبر (الاتحاد السوفيتي) الذي هو احد المراكز الكبرى للحضارة الاسقوثية · صنع هذه القارورة في القرن الرابع ق·م فنان من المستعمرة الاغريقية في شبه جزيرة كيرش في البحر الاسود ؛ شأنها في ذلك شأن الكثير من المصنوعات الذهبية والفضية التي اكتشفت في اوكرانيا ، اذ كان الصناع الاغريقيون ملمين بأذواق وعادات البدو الاسقوثيين ·

وكان الاغريق أنفسهم قد قاوموا الفرس الغزاة عدة سنين ، فتاقت نفس هيرودوت الى كتابة تاريخ هذه الحرب ؛ وكان من البديهى أن يتضمن هذا التاريخ اخبار الاسقوثيين .

وكان فى اولبيا جم غفير من الناس الذين قضوا حياتهم فى السهوب ، وضربوا فى البلاد الواقعة شمال البحر الأسود طولا وعرضا ، فعرفوا الكثير من القصص والحكايات عن عالم الاسقوثيين الذى كان يختلف عن عالم الاغريق .

وكان هيرودوت شابا يحسن الاستماع الى القول ، ويستهويه كل ما يغاير اسلوب الحياة الذى الفه فى وطنه ؛ فاراد أن يدون فى تاريخه كل غريب وعجيب . لا يترك من ذلك شاذة ولا فاذة . فجمع كل ما سمعه من حكايات وأقاصيص ، ومنها القصص غير المألوفة التى تلقاها من أفواه محدثيه من الأغارقة والاسقوثيين ؛ ومنهم رجل اسمه تمنيس كان محل ثقة أريابيثيس ؛ أحد ملوك الاسقوثيين .

وكان ما شاهده هيرودوت بعينه وسمعه بأذنه عونا له على تكوين صورة مختلطة عن دنيا الأسقوثيين ، امتزج فيها الماضى بالحاضر ، والمهم بالتافة ؛ والممكن بالمستحيل ، مما اراد أن يدونه فى تاريخه .

ولذلك نرى أن أول تاريخ من نوعه الفه رجل سمى « ابا التاريخ » يشتمل على ذكر شعب من اوائل الشعوب التى استوطنت اقليما هو الآن جزء من الاتحاد السوفيتى .

وقد وصل هيرودوت الى اولبيا فى سنة ٤٥٠ ق.م. وبعد خمس سنوات تلا فقرات من تاريخه على أهل أثينا ، فأعجبوا به ، وقدموا له منحة من المال لمواصلة مشروعه .

ولنستمع الآن معهم الى ما قاله الراوى : « بلادهم مستوية السطح ، غزيرة الماء ؛ كثيرة المرعى » .. « ليس بها مدن ولا قلاع . يحملون مساكنهم معهم اينما ظعنوا . ويرمون النبال من فوق ظهور الخيل ، ولا يعيشون على الزراعة . وانما على لحوم المواشى . وعرباتهم هى المسكن الوحيد الذى يملكونه » .

ويصف هيرودوت الحياة البدوية التى يحياها الأسقوثيون فيقول انهم يتجولون جماعات فى السهول الكبرى الشاسعة بين الدانوب والدون : نساؤهم واطفالهم فى العربات ؛ ورجالهم على ظهور الجياد . متاهبين فى كل لحظة للذود عن أسرهم ومواشيهم بالحراب والسهام والقسى التى يستخدمونها بمهارة بالغة .

والأراضى التى يقطنها الاسقوثيون « جرداء من الأشجار » ، ولذلك فهى « خالية من الحطب » . وهذا هو السر فى أنهم يحشون بطن الحيوان باللحم ؛ ويطهونه فى قدور على نار يتخذون وقودها من عظام الحيوان نفسه . ويعلق هيرودوت على ذلك بقوله : « انهم يتركون الثور على النار حتى يسلق نفسه بنفسه ؛ كذلك شأن الذبائح الأخرى » .

عهد الأخوة

يوضح لنا هذا البروش الذهبى الذى يعلق على الملابس للزينة عادة شائعة بين البدو فى السهوب، شأنه فى ذلك شأن جميع المجوهرات والحلى الاسقوثية . يظهر فيه اسقوثيان يتعاهدان على الاخاء مدى الحياة فى حفل اشار اليه هيرودوت فى تاريخه . يركع الرجلان انفا لأنف مع التصاق المنظر الجانبى لوجهيهما ، لم يمسكان باناء واحد على شكل قرن يمزجان فيه قطرات من دمائهما مع الخمر ، اشارة الى أن الاثنين اصبحا شخصا واحدا . وهذا الرمز يتجلى ايضا فى فكرة البروش . فلو انك نظرت الى المنظرين الجانبيين للوجهين متلاصقين (انظر الصورة المكبرة فى الصفحة المقابلة) لوجدت انهما يكونان وجها واحدا . وهذا الأسلوب الفنى المعروف باسم « التصوير المنقسم او المنفصم » شائع نسبيا فى الفن الحيوانى الاسقوثى (انظر الصورة الملونة ص ٢٨) ، ولكنه قلما يطبق على الوجه الانسانى . وهذا البروش الذى يرجع تاريخه الى القرن الرابع ق.م يقل طوله عن ٤ سم ، وهو نموذج رائع للبراعة الفائقة التى امتاز بها الصاغة الاسقوثيين. تصوير ل. تراسوفا ـ لينينجراد .



موكب دعوى

ان منظر الكباش والعنز الجبلية وهى تمرح بين الزهور وشجيرات النخيل التى يحدها حبلان مفتوصان من الذهب (اسفل) ليذكرنا بالحياة الرعوية لرعاة البدو الذين تجولوا فى السهوب منذ ٢٫٥٠٠ سنة ؛ باحثين عن الماء والمراعى . تبين الصورة حلية الصدر الذهبية التى اكتشفت فى ١٨٦٨ فى احد السراديب بقبر بلزنتسا العظيم بالقرب من بحر ازوف . كانت هذه التحفة الرائعة تعد نموذجا لا نظير له للجواهر الاسقوثية حتى ١٩٧١ حين اكتشفت حلية اروع منها من الطراز نفسه (انظر ص ١٩) .

وكان الاسقوثيون يشربون لبن اناث الخيل . كما كانوا يشربون الخمر المستوردة من الخارج . بشراهة ونهم ، دون أن يمزجوها بالماء قط . وكان الأغارقة عندما يعاقرون بنت الحان فى مرح وطرب يقولون للساقى : « اسقنا ياصاح على الطريقة الاسقوثية » !

ولأن الاسقوثيين نشأوا فى السهوب اشتغلوا برعى الماشية ؛ وان اشتغلوا أيضا ـ كأسلافهم ـ صيد الحيوانات المتوحشة . وكان هيرودوت يعنى خاصة بتاريخ البدو الرحل ، ولكنه ذكر ايضا أن بعض الاسقوثيين كان « يشتغل بالزراعة » .

وكانت اهم الحاجات الضرورية متوافرة لديهم . فقد منحهم الله أرضا يرويها كثير من الأنهار ، منها نهر بوريثينيز (نهر الدنيبر) الذى يحدثنا عنه بقوله : « يوجد على ضفافه أجمل واجود مراعى الماشية ؛ كما توجد فى جوفه كمية وافرة من الذ أنواع السمك . ماؤه عذب فرات ـ ورائق شفاف . واغنى المحاصيل تنمو على طول مجراه » .

وقد يفهم من ذلك أن حياة الاسقوثيين كانت طيبة ناعمة ، ولكن الواقع أنها كانت قاسية ؛ اذ كانت احوالهم وعاداتهم تنم عن عصر يمتاز بالقسوة . وقد فات « أبا التاريخ » أن يصف لنا بالتفصيل مسلك الاسقوثيين فى الحرب .

ولأن الأسقوثيين كانوا قساة على أعدائهم بقدر ما كانوا أوفياء لأصدقائهم اهتموا اهتماما كبيرا بمراسم حلف اليمين . فكانوا اذا عقدوا حلفا سكبوا بعض دمائهم فى جفنة مترعة بالخمر ، ثم غمسوا فى هذا المزيج « سيفا وسهاما وفأسا ورمحا » مرددين فى أثناء ذلك بعض الصلوات والدعوات . وبعدها يشرب الحلفاء من الجفنة .

وقد نوه هيرودوت بأن الاسقوثيين لم يهتموا بالتماثيل او المعابد ؛ ولكنه عدد آلهتهم ، وذكر ما يقابلها من آلهة الاغريق ، ودورها فى أوضاع الحياة .

فمن آلهتهم « تابيتى » المعروف عند الاغريق باسم « هستيا » وكان يحمى البيت . ومنها « بابيوس (يقابله زيوس عند الاغريق) . ويقول هيرودوت انه يتولى الشئون السماوية فى حين تتولى زوجته آبيا الشئون الأرضية . وكانوا يعتقدون أن الاله تارجيتوس المعروف عند الاغريق باسم هرقل ؛ هو أول رجل عاش فى بلادهم . وانه ابو قومهم .

وكان الاسقوثيون يقدمون الحيوانات المنزلية وبخاصة الخيل قربانا لكل هذه الآلهة . كما كانوا يقدمونها للاله آريس . اله الحرب . وهو الاله الوحيد الذى كانوا يقيمون تكريما له مذابح على هيئة عصى صغيرة يعلوها أسياف حديدية عتيقة ؛ وكانت الذبائح التى تقدم له لا تقتصر على الماشية والخيل . بل تتضمن أيضا واحدا من بين كل مئة من أسرى الحرب .

وكان فى اسقوثيا عدد كبير من الكهان يتنبأون بالمستقبل بواسطة حزم من العصى المتخذة من خشب الصفصاف . وكان من واجبهم اذا مرض الملك إن

يعينوا الخائن الذى تسبب فى هذا المرض لحنثه بيمين الولاء التى أقسمها بجوار مدفأة الملك • وكان الملك يدعوهم لمعاودة النظر فى الحالات المشكوك فيها • واذا تبين أن المتهم برىء خسر الكهان التعساء أنفسهم ورؤوسهم •

وكان الاسقوثيون يؤمنون بالحياة الأخرة ، ويرونها امتدادا لما سبقها • ويقدم لنا هيرودوت وصفا مفصلا للجنائز الملكية ، والاستعدادات الدقيقة التى تتخذ لتوفير كل ما يتطلبه الملك فى الأخرة •

بعد حفر لحد عميق ومستطيل الشكل يحمل الاسقوثيون جثمان ملكهم على عربة ؛ ويسيرون بها فى موكب ملكى من قبيلة الى قبيلة • وكان النادبون يصلمون آذانهم • ويقصون شعورهم ، ويجرحون أذرعتهم وجباههم ، ويجدعون أنوفهم ؛ ويغرزون سهاما فى أيديهم اليسرى حتى ينفذ منها •

وعندما يصلون الى القبر ينزلون الملك فى الأرض على محفة يحيطونها بدريئة من الرماح • ثم يبنون سقفا من الروافد على القبر ، ويكسون هذه الروافد بالأماليد •

وكانوا يدفنون فى الأرض الفضاء المحيطة بالملك احدى محظياته ، بعد قتلها خنقا ، بالاضافة الى ساقى الملك ؛ وطاهيه ؛ وسائس خيله ، وتابعه، وساعيه ؛ وبعض خيله ؛ والنتاج الأول لكل ما يملكه ، وبعض الكؤوس الذهبية • وأخيرا يشرعون ـ كما يقول هيرودوت فى بناء ربوة كبيرة على القبر ، ويتنافسون فى بنائها حتى تكون عالية بقدر الامكان •

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فبعد سنة كانوا يختنقون خمسين رجلا من خدم الملك ؛ ويخوزقونهم على ظهور خمسين جوادا مذبوحا ، ثم يربطونهم باحكام الى أوتاد ، ويرتبونهم على شكل دائرة ، حتى يكونوا بمثابة حرس شرف لحماية مدفن الملك !

وكان كل اسقوثى ملزما باحترام آلهته ؛ ومن خان عهده عوقب على ذلك بشدة • وقد سمع هيرودوت فى اولبيا بقصة اسكيلاس ، وفيها عظة وعبرة • وكان اسكيلاس ابن الملك الاسقوثى اريابيثيس وخليفته على العرش ، ولكنه كان يمقت أسلوب الحياة الاسقوثية ، ويحب بحكم نشأته وتربيته أحوال الاغريق وعاداتهم • وقد بنى اسكيلاس لاحدى زوجاته من أهل أولبيا منزلا فيها ؛ وعندما كان يزور المدينة ، وكثيرا ما كان يزورها ، دأب على أن يرتدى ملابس الاغريق ويقلد عاداتهم وطقوسهم ، الى حد أنه كان يشترك فى حفلات السكر والعربدة التى يمقتها الاسقوثيون •

وقد استنكر بعض أقاربه ما كان يرتديه من الملابس الاغريقية ، فاجتمعوا فى منزلهم للتحدث فى هذا الأمر ؛ فاستشاطوا غضبا لذلك ، وثاروا على اسكيلاس ، فاضطر الى الفرار الى تراقيا •

ولكنه لم يلبث أن وقع فى أيدى خليفته على العرش ، فقطع رأسه من فوره • ويعلق هيرودوت على هذا الحادث بقوله : « هكذا كان الاسقوثيون يحافظون على عاداتهم بشدة ، وهكذا كانوا يعاقبون بصرامة من ينتحل العادات الأجنبية » •

وقد أعجب هيرودوت بالاسقوثيين لأمور كثيرة • ولكنه أعجب بهم خاصة لأمر واحد كثيرا ما كان يشير اليه ؛ لأنهم أظهروا فيه أنهم أحكم من أى أمة على وجه الأرض • هذا الأمر هو الحيلة التى يستحيل معها على عدوهم الذى يغزوهم أن ينجو من الهلاك ، فى حين أنهم هم يظلون بنجوة من أذاه ، الا اذا أرادوا منازلته •

وتشتمل قصة هيرودوت عن الاسقوثيين على حقائق تاريخية وجغرافية وأثنوغرافية • وهو يستطرد فى حديثه عن حملة دارا الى أمور لاتمت بصلة للموضوع • ولكنها تظهر الى أى حد يعد المؤرخون الذى جاءوا بعده مدينين له بالمعلومات التى ذكرها عن العالم القديم ، وبخاصة تكوين المجتمع الاسقوثى •

ومن الواضح أننا لم نكن ننتظر من هيرودوت أن يتنبأ بأن هذا الموضوع سوف يكون ذا أهمية كبرى بالنسبة لمؤرخى المستقبل ؛ وأن يلقى عليه أكثر من نظرة عابرة • ولكن يجب الاعتراف بأن هذه النظرة العابرة وضعت المؤرخين الذين جاءوا بعده فى موقف شديد الحرج •

فالكثير مما كتبه هيرودوت لا يزال عرضة للتأويلات المختلفة ، ولا يزال هذا الخلاف يحول دون أى محاولة من جانب العلماء المحدثين لفهم كتاباته •

ويقول هيرودوت ان تكوين المجتمع الاسقوثى كان تكوينا قبليا • ومن الواضح أن الروابط القبلية يمكن أحيانا أن تكون حافزا للعمل المشترك • ولكن هذه الروابط فقدت مالها من أهمية فى جمع الشمل وتوحيد الكلمة ، وأصبحت الأسرة الخاضعة لحكم الأب هى الوحدة الاجتماعية الأساسية وتدل العادات والتقاليد الاسقوثية على وجود مجتمع يخضع لسيطرة الرجل ، كما تدل على أن مركز المرأة يتسم بالتبعية .

ولم يكن المجتمع الاسقوثى قائما على مبدأ المساواة ؛ بل على العكس كان مجتمعا طبقيا نسبيا، فعلى الرغم من أن معظم الاسقوثيين كانوا أحرارا بصرف النظر عن سلطتهم أو ثروتهم الشخصية كانت طبقة من الأرقاء أشار هيرودوت الى وجودها ونشاطها ، كما كانت هناك طبقة من الأقلية الأرستقراطية المتمتعة بالملكية ، تتألف من رؤساء الأسر الغنية ؛ والحاشية الملكية ؛ وشيوخ القبائل المحاربين ؛ وكل هؤلاء يخضعون لسلطة الملك .

وكانت اسقوثيا محكومة بالمحالفات القبلية . وقد انقسمت وقت الغزو الفارسى بقيادة دارا فى نهاية القرن السادس ق٠م الى ثلاث ممالك تحت القيادة العامة التى تولاها ايدانثيرسوس ؛ وكان ذا سلطة مطلقة سواء فى ادارة الشئون العسكرية وتوزيع الغنائم ، أو فى تقرير مصير الاسقوثيين ؛ فقد كان فى وسعه أن يكرههم على الخدمة العسكرية متى شاء ، أو يعاقبهم بالاعدام اذا عصوا أمره .

وقد رأينا آنفا مصير الحانثين باليمين الذى أدوه بجانب مدفأة الملك • وكانت هناك ذخيرة وفيرة من القرابين على أهبة الاستعداد فى انتظار موت الملك ، وتتألف هذه القرابين من الأرقاء والخيل وبعض الأشياء الثمينة •

وكان الملك الأسقوثى قائدا عسكريا قبل كل شىء ؛ كما كانت الحرب أمرا مألوفا ، باعتبارها مصدرا للثراء والرخاء ، ووسيلة لتمكين الطبقة الأرستقراطية من اقتناء الأموال والثروات • وكانت الفنون والتقاليد العسكرية تسود حياة الاسقوثيين المدججين دائما بالسلاح •

وكانت هذه الكتلة من المحاربين قادرة على كسر ارادة الملك • وقد بقى من العصور القديمة شكل بدائى من الديمقراطية يتمثل فى المجالس التى تتيح لهؤلاء المحاربين مناقشة الأمور الهامة ، كما تستطيع تقرير مصير الملك ، كما حدث فى شأن اسكيلاس السىء الحظ •

كان المجتمع الاسقوثى حافلا بالمتناقضات • وقد كتب هيرودوت عن الأحداث الجارية فى منتصف القرن الخامس ق٠م٠ ؛ وهى تؤلف فصلا من التاريخ الاسقوثى ، أعقبه بكثير من الفصول الأخرى الكثيرة • وكانت الفترة التى كتب عنها هيرودوت حافلة بالتغيرات فى كافة نواحى الحياة ، ولكن الاسقوثيين لم يتخلوا تماما عن أساليب الحياة القديمة ، ولذلك تركت هذه الأساليب بصماتها على كل ما حدث بعد ذلك •

ويمكن القول بأن الاسقوثيين احتلوا مسرح التاريخ نحو ألف سنة ؛ وهى مدة تعادل المدة التى عاشتها روما القديمة • ويمكن القول أيضا بأنهم مروا بسلسلة من التجارب التى لم تترك أى أثر وراءها ، ولكن القليل الذى نعرفه عنها يدل على أن مصير الاسقوثيين يتسم بطابع التنوع والصراع •

ولا ريب أن الاسقوثيين كانوا بلاء على الشرق فى القرن السابع ق٠م ، ففى ٦١٢ ق٠م اشتركوا فى نهب نينوى العاصمة الأشورية القديمة • وبعد ٣٠٠ سنة منوا بالهزيمة على يد فيليب المقدونى • وفى القرن السادس وطد الاسقوثيون دعائم استقلالهم ؛ فهزموا دارا وجيشه الفارسى هزيمة منكرة • وفى نهاية القرن الثانى هزمهم الاغريق هزيمة منكرة فى معركة بعد أخرى فى شبه جزيرة القرم •

وفى فجر تاريخهم شنوا على مصر غارات لا يكاد يصدقها العقل • وعندما غربت شمسهم انحصروا فى رقعة صغيرة من سهول القرم ،

أوان منزلية أنيقة



تصوير ل. ترسوفا ـ لينينجراد

تصوير : ٠أ. بولجاكوف ـ لينينجراد

ان البراعة الفنية التى زين بها الاسقوثيون أدواتهم اليومية لتتجلى فى القدور ، والسكاكين ومجامر العطر ، والمصابيح ، والقوارير ؛ والجرار ، والكراسى ، وغير ذلك من الأوانى المختلفة الأنيقة الصنع • والأدوات المبينة الى اليمين يرجع تاريخها الى نحو ٢٫٥٠٠ سنة ، وهى :

١ ـ مصباح برونزى يسع ست فتائل (طول الفتيلة ١١ سم) •

٢ ـ مرآة برونزية (قطرها ١٨ سم) ذات مقبض محزز يرى فى أعلاه نمر

٣ ـ مصفاة برونزية للحم ؛ لرفع اللحوم المسلوقة من الاناء ، وكانوا يدخلون عصا خشبية فى المقبض الأجوف •

ملابس الفرسان ذوى الهندام الجميل

ملابس الفرسان ذوى الهندام الجميل

اننا نعرف الآن أدق التفاصيل عن ملابس الفرسان الاسقوثيين منذ ٢٫٥٠٠ سنة ، ونوع العتاد الذى استخدموه (الصورة الى اليسار) وقد وصلت الينا هذه المعرفة مع اكتشاف العتاد الذى دفن مع أحد المحاربين فى القرن الخامس ق٠م فى أحد القبور باوكرانيا (أسفل) • وقد وجد هذا العتاد بحالة جيدة ، فالخوذة المخروطية الشكل ذات الحواشى التى تغطى الآذان ؛ والقطعة الجلدية الخلفيةالمغطاة بصفائح معدنية ، وحزام السيف المحلى ببروشات برونزية ، ودرع الصدر : كل ذلك بقى سليما لم يتغير • وقد صور العتاد على عمود حجرى يرجع تاريخه الى فترة واحدة (الى اليسار) ، كما صور عليه أيضا سيف طويل ؛ وخنجر فى قراب ، وفنجان على شكل قرن ، وكنانة للسهام والقسى • وقد شمل عتاد المحارب أيضا درعا للساق مربوطة بالسراويل التى أدخلت فى أحذية من اللباد بدون كعب •

رسم ميشيل جارليك ـ معهد الدراسات الشرقية ، أكاديمية العلوم السوفيتية ، موسكو •



واستبدلوا الأدوات الزراعية بالجياد التي امتطوها خلال ترحالهم في مخيلة وكبرياء ·

وكانوا في البداية يرفضون كل ما يمت بصلة للاغريق ، ولكنهم في النهاية امتزجوابهم في المدن الاغريقية التجارية الواقعة على ساحل البحر الأسود ·

وأصبح المحاربون الذى حطموا كل شئ في طريقهم يقدرون الابداع الفنى ويحذقون الحرف والصناعات ·

وعندما أصبحت اسقوتيا والاسقوتيون القدامى في خبر كان في القرن الثالث بقى الاسم الذى كان يبعث الرعب في القلوب قبلا حتى ، وانتحله الذين احتلوا أراضيهم السابقة · ومنهم السلافيون القدامى ·

وخيم الصمت على الاسقوتيين ألف سنة وخمسمائة ، ثم أصبح الماضى مستقبلا في منعطف القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وذلك عندما بدأت آثارهم تتكلم . واخذت على اختلاف أنواعها تنتظر معاول الأثريين : وحان الوقت الذى أصبحت فيه صحة الحكايات التي رواها هيرودوت معروضة على محك البحث ·

وقد بدأت دراسة الآثار الاسقوتية القديمة بعد أن أصبحت الأراضى الواقعة شمال البحر الأسود تابعة لروسيا · ومنذ ذلك الوقت تم التنقيب عن عدد كبير من الآثار · من أهمها الروابى الشهيرة القائمة فوق مقابر الاسقوتيين ·

ويشير كثير من هذه الروابى الى المثوى الأخير لرؤساء القبائل أو الملوك ، وهى مبان معقدة مقامة فوق قبور تحت الأرض تحتوى على أشياء مختلفة · وقد نهبت بعض هذه الآثار . ولكن ما رفض اللصوص نهبه كان ذا أهمية كبيرة للأثريين ·

وحصر الأشياء المستخدمة في الحياة اليومية أمر يطول شرحه ؛ وهى تشمل القدور البرونزية . والأوانى الخزفية . والخواتم الذهبية . والأساور ؛ والقلائد ؛ والأقراط · وحلية الرأس ، وحلية الملابس المصنوعة من المعادن (تخاط عادة في الملابس) · والسيوف ، وفؤوس الحرب · والرماح؛ والسهام ؛ والجعاب (أو الكنائن) ؛ والأغماد ؛ والدروع · وأطقم الخيل ؛ وأدوات الطقوس ·

وقد استخدمت في انتاجها مواد كثيرة من الذهب · والبرونز . والصلصال . والحديد ؛ والفضة . والعظام ؛ والحجارة · أما الأشياء نفسها فقد جاءت من مصادر مختلفة : بعضها مصنوع في الداخل · وبعضها مستورد من الخارج اما بطريق الشراء واما بطريق السلب والنهب خلال الغارات واما بطريق التجارة مع القبائل الأخرى .

وقد أكدت الحفائر الأثرية صحة ما ذكره هيرودوت عن الحياة في السهوب فيما يتعلق : على الأقل . بالنواحى المادية للحياة · كما بررت القول بأن هيرودوت هو مؤسس علم التاريخ .

والدليل على ذلك أن ما اكتشفه الأثريون في القبور الملكية يتفق مع ما ذكره هيرودوت في وصف جنائز الملوك ؛ عامدا تغطة أو تقطين لم يلتزم فيهما هيرودوت جانب الدقة أو أغفل ذكرهما · وتطابق القدور البرونزية التى اكتشفوها تلك القدور التي ذكر هيرودوت أن الاسقوتيين يسلقون فيها اللحم · واذا عثروا على كميات من رماد الحطب فان الرماد المتخلف من مواقد مستوطنة واحدة على الأقل يدل على أن العظام كانت أحيانا تستخدم كما قال بدلا من الحطب ·

وفى ١٨٣٠ فتحت صفحة جديدة في تاريخ دراسة الآثار الاسقوتية القديمة . عندما بدأت الحفائر في مقبرة كول أوبا بالقرب من كيرش الواقعة على المضيق الموجود بين البحر الأسود وبحر أزوف · ومن بين الآثار التى عثر عليها مجموعة فريدة من الأدوات التى استرعت أنظار العلماء منذ ذلك الحين ·

وقد اكتشف فيها سرداب حجرى يضم ثلاث جثث دفنت في القرن الرابع ق·م · بالاضافة الى كمية من المصنوعات الذهبية تزدان بطريقة لم تشاهد من قبل ، وتصور مشاهد من حياة شعب من المحاربين لا يشبهون الاغريق بأى وجه · لا في ملابسهم ولا في أغطية رؤوسهم ولا في منظرهم العام ·

كما عثر على قلادة ذهبية صلبة مزدانة بصور فرسان ، وحلى ذهبية حيكت بملابس الموتى مزدانة بصور رماة يطلقون السهام · وفرسان يلوحون بالرماح ؛ وجنود ربطوا في أحزمتهم الكنائن وجعاب القسى ·

ترى من هم المحاربون الذين تصورهم هذه المشاهد ؟ لقد صح الرأى الذى تبادر الى ذهن الأثريين عندما اكتشفوا هذه الآثار ؛ وهو أنهم اسقوتيون رسموا ــ كما يقال ــ من الحياة ·

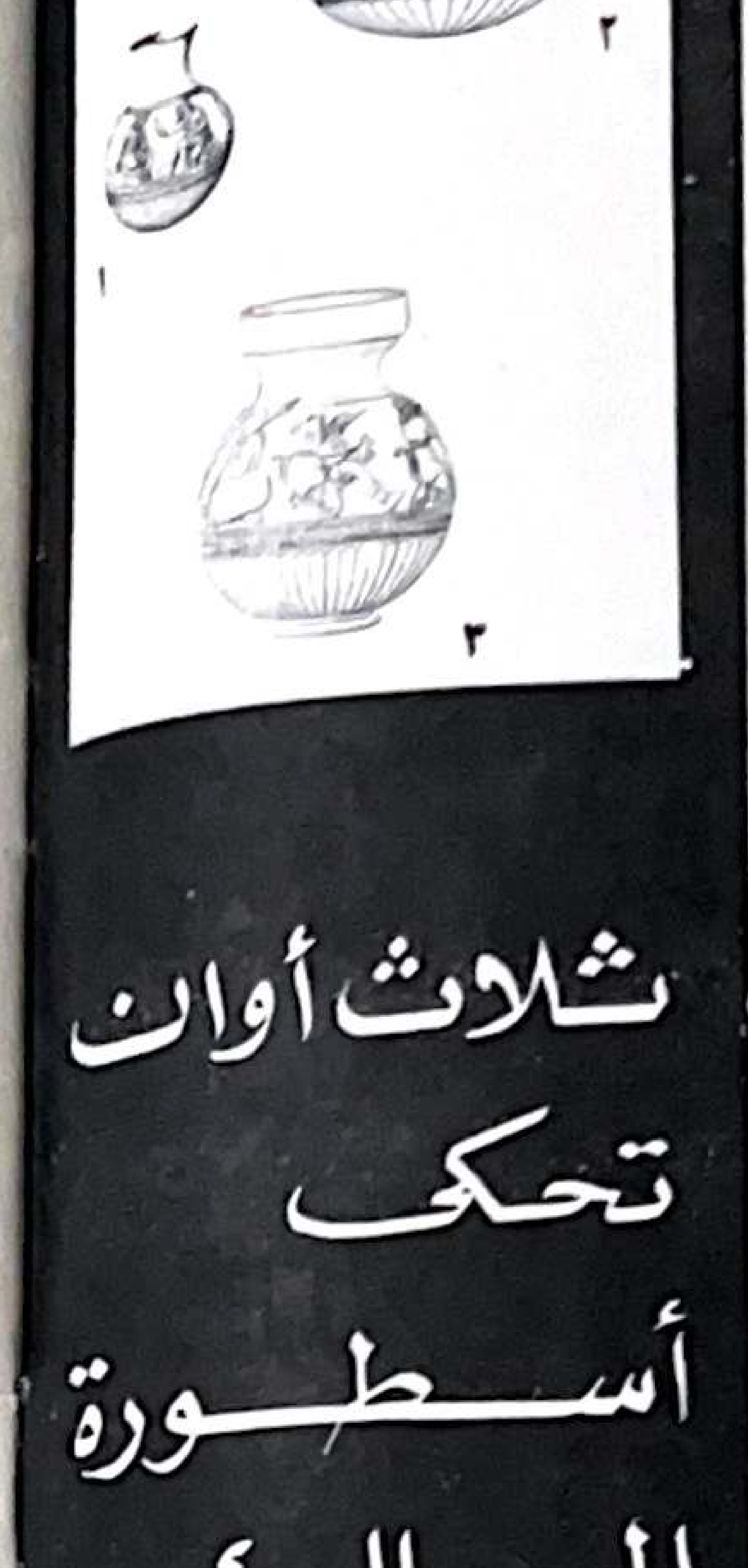
ولأول مرة وقف العلماء الذين استقوا معلوماتهم عن شعب قديم من تاريخ هيرودوت أو غيره من الكتاب أمام الحقائق الاسقوتية وجها لوجه· ما صفتهم ؟ كيف كانوا يسلحون أنفسهم ؟ ماذا كانوا يلبسون ؟ كيف كان سلوكهم ؟ لقد وجدوا الاجابة عن هذه الأسئلة أمام أعينهم ·

ولم تكن مقبرة كول أوبا سوى الأولى في سلسلة المقابر التي تضم آثارا معدنية تزدان بصور الاسقوتيين · ففى ١٨٦٢ بدأت أعمال الحفر في مقبرة تشرتوملك القريبة بالقرب من نهر الدنيبر ، وعثر فيها على زهرية ذهبية وفضية موشاة بافريز من الصور البشرية المنحوتة وصور جياد شبيهة بالصور التي وجدت على آثار مقبرة كول أوبا · ويعتقد أن هذه الزهرية تصور مربى ومدربى الخيول في السهوب الاسقوتية .

وفى ١٩١٢/١٩١٣ عثر في مقبرة سلوخا المجاورة ــ وهى أيضا مقبرة ملكية ــ على آثار أخرى مزينة بمشاهد من الحياة الاسقوتية · منها مشط بصور المحاربين الاسقوتيين في أثناء المعركة .

وما ذكرناه ليس الا القليل من أهم الآثار التى عثر عليها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتى توضح « الموضوع الاسقوتى » في الفن القديم · وأول أثر ينطبع في الذهن من رؤية هذه الآثار هو الكمال الفنى والتقنى الذى

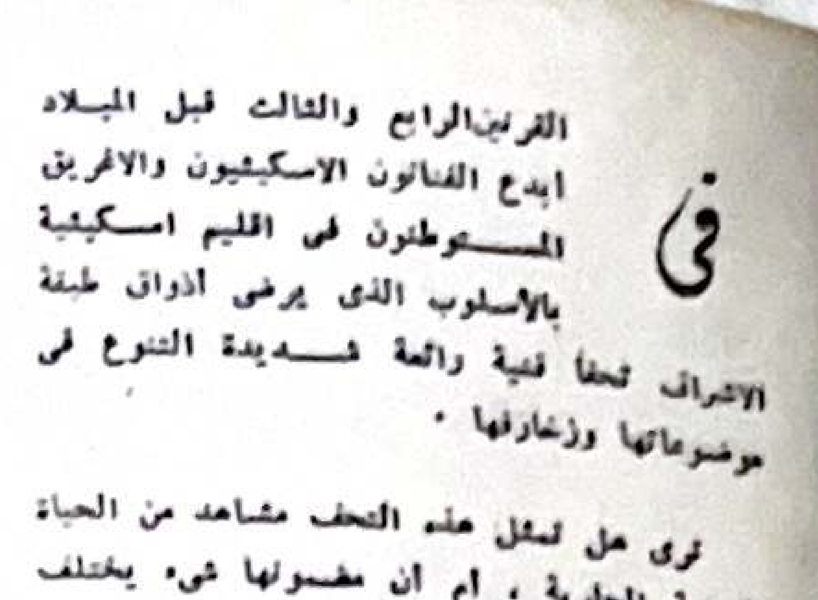
(البقية ص ٤٨)



ثلاث أوان تحكى أسطورة الملك تارجيتاوس

بقلم : ديمترى · س · ريفسكى

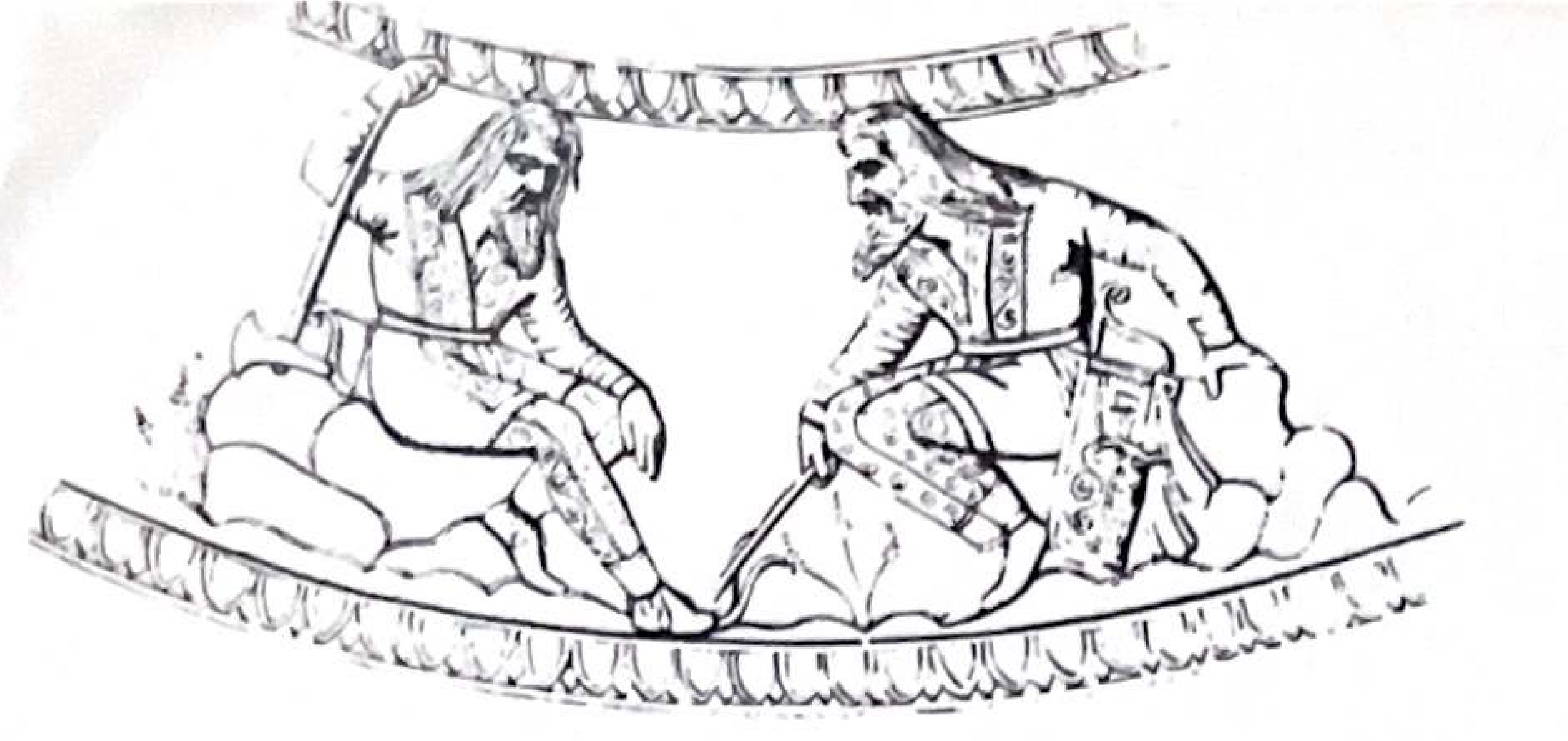
ديمترى سيرجيفتش رايفسكى : عالم اثرى سوفيتى ؛ بمعهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى · مؤلف مجموعة من الدراسات في تاريخ اسكيثيا · وسوف يصدر عما قريب أحدث مؤلف له عن الأساطير الاسكيثية ·



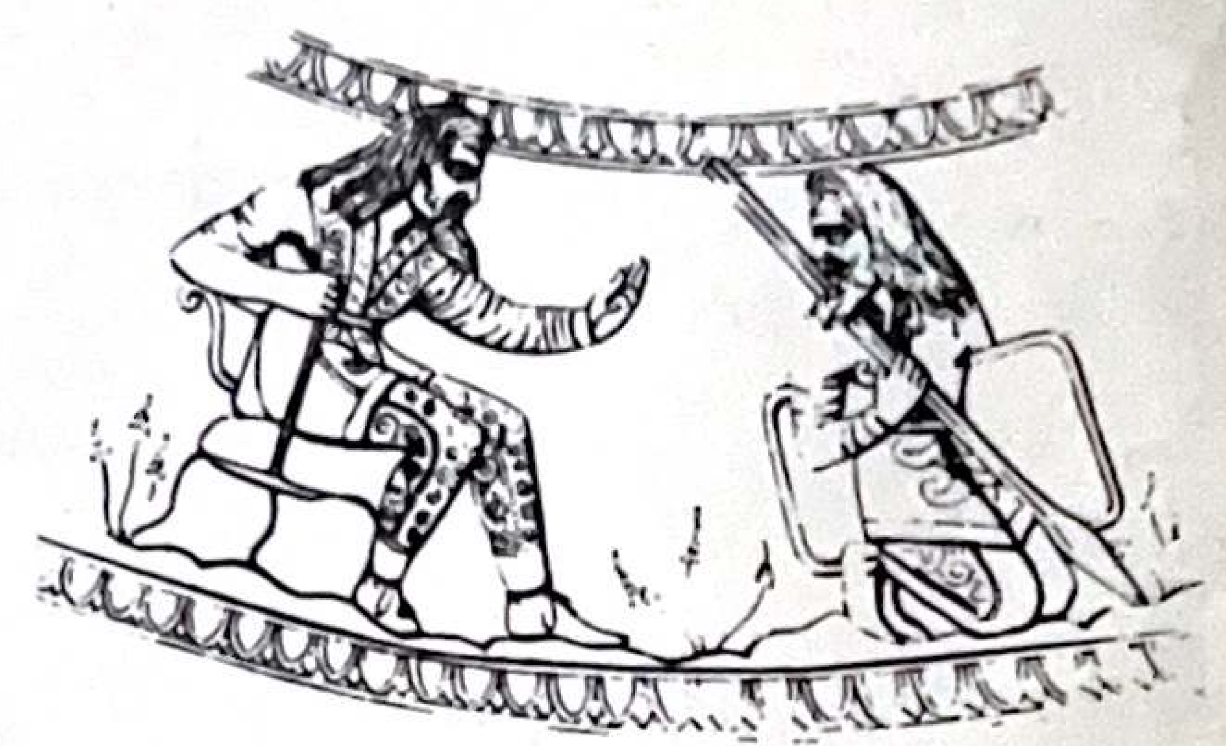
في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد أبدع الفنانون الاسكيثيون والاغريق المستوطنون في اقليم اسكيثية بالأسلوب الذى يرضى أذواق طبقة الاشراف تحفا فنية رائعة شديدة التنوع في موضوعاتها وزخارفها ·

ترى هل تمثل هذه التحف مشاهد من الحياة اليومية الجارية ، أم أن مضمونها شئ يختلف عن ذلك كل الاختلاف ؟

في المستطاع بمقابلة هذه التصاوير بالمعلومات التى زودنا بها مؤلفو التاريخ القديم أن نعيد صياغة الأساطير الاسكيثية · وفيما يلى بعض أمثلة المشاهد التى تشرح الحياة في تصاوير كانت معروفة منذ زمن بعيد · وتجعلها تتحدث عن نفسها ·



قصة تارجيتاوس ، أول ملك اسكيثى ؛ وأبنائه على « شريط منقوش » على جانب اناء فضى (الرسم رقم ١ بالصفحة اليمنى) اكتشف في شمال كوبان ، ويظهر الملك الشيخ يحادث ابنه الأكبر (٤) ، ويودع ابنه الثانى (٥) الذى يحمل حربتين في يده اليمنى ويتأهب للرحيل ؛ ولكنه يقدم القوس رمز السلطان لابنه الأصغر الذى لم تنبت لحيته بعد (٦) ·



وقد روى لنا هيرودوت أسطورة أول بطل من أبطال الاسكيثيين ؛ أطلقوا عليه اسم تارجيتاوس كما أطلق عليه المستعمرون الاغريق في اقليم البحر الاسود ، وكذا هيرودوت ، اسم أحد أبطال الأساطير الاغريقية : هيراكليس · ونجد أيضا عند مؤلفين آخرين من العصور القديمة نبذات من الأساطير مرتبطة على ما يبدو بهذه الشخصية ·

وفى بداية العقد السادس من هذا القرن قدم الأستاذ بوريس جراكوف نظريته القيمة التى تقول ان الأشياء التى وجدت في المقابر الاسكيثية (الكورجان) والتى تصور شخصا يصارع حيوانا اسطوريا انما تعيد ذكرى هذا البطل الذى ذاع صيته في اسكيثية ؛ ذلك أن الملوك الاسكيثيين كانوا كما يقول هيرودوت ؛ يعتقدون أنهم ينحدرون من تارجيتاوس مباشرة · وهذه الفكرة مقنعة مثيرة للغاية ، من ثم الا يجوز أن نجد تصاوير تتوافق توافقا أكيدا مع الأسطورة ؟

تقول احدى الروايات الأسطورية ان تارجيتاوس هيراكليس ــ كان له ثلاثة أبناء · ولكى يعين من هؤلاء الأبناء الثلاثة الأجدر بحكم اسكيثية قام باختبارهم ، فكان على كل منهم أن يوتر قوس أبيه · ويشد نطاقه الحربى ؛ وكان هذا العمل يتطلب على ما يبدو قوة وبراعة فائقتين

ولم ينجح في تحقيقه سوى الابن الأصغر اسكيتيس الذى أصبح ، كما تقول الأسطورة ، أول ملك لاسكيثية · أما الاثنان الآخران فقد طردا من البلاد · وهناك عدد كبير من الأعمال الفنية الاسكيثية تصور هذه القصة ·

وفى بداية القرن الحاضر عثر في مقبرة بوادى نهر الدون الأوسط على اناء فضى صغير (انظر الرسم رقم ١) ينتمى بصورة واضحة الى سهول الاستبس حول البحر الأسود ·

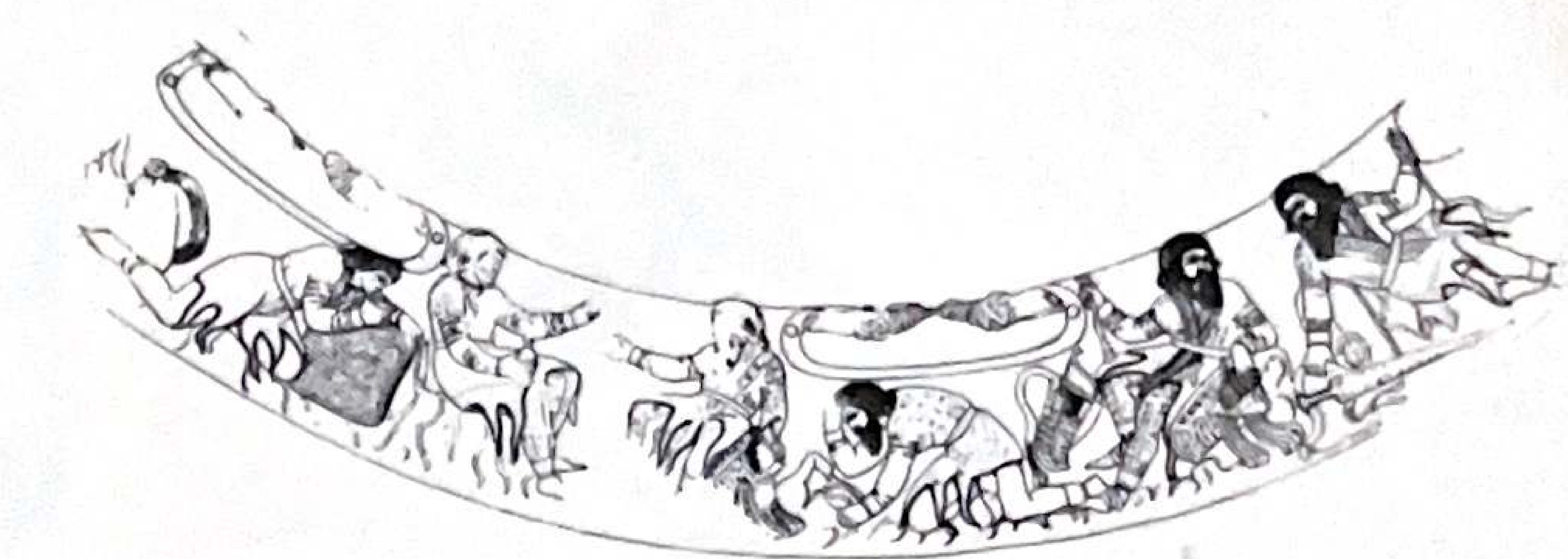
وكان الاسكيث يستخدمون هذا النمط من الآنية في عباداتهم · وعلى هذا الاناء تصوير لثلاثة مشاهد تضم ست شخصيات من الذكور · جعلت مثنى مثنى ، يبدو في كل منها صورة واحدة لرجل مسن ذى لحية وشعور طويلة · وفى أحد المشاهد (٤) يتحدث هذا الشخص مع اسكيثى آخر · وفى مشهد آخر (٥) أقوى تعبيرا من الأول يبدو هذا الشخص نفسه وهو يودع أحد المحاربين ــ ويتميز بحربتين يمسكهما بيده ــ وهو يتأهب للرحيل في حملة بعيدة ·

غير أن المشهد الثالث (٦) هو الأهم ، اذ يبدو الشخص نفسه وهو يقدم قوسا لمحدثه الذى يبدو بوضوح أنه أصغر الأشخاص المصورة كلهم سنا : اذ ليس له اللحية الاسكيثية التقليدية ·

وتتيح تفاصيل هذا التكوين التعرف على تارجيتاوس وأبنائه الثلاثة ، فهو يأمر اثنين منهم بمغادرة البلد · ويشير بيده للمحارب المتأهب للرحيل بعدد ثلاثة ، كأنه يذكره بأن الاخوة الثلاثة قد جازوا الاختبار ؛ ويعطى ثالثهم قوسه · رمزا لانتصاره ، ومقارا لسلطانه على الاسكيث ·

وبعد بضع سنوات اكتشف بأوكرانيا ، في مقبرة للاسكيثيين في جايمانوف يسمونها « الكورجان » اناء (٢) عليه صورة شاب اسكيثى يتسلم من يد رجل أكبر منه سنا شيئا مستطيل الشكل · غير أن هذا الجزء من الاناء (الرسم رقم ٧ صفحة ١٦) قد أصابه تلف شديد ؛ ومن ثم اختفى هذا الشئ ، ولكن محتويات المشهد وكذا ملامح الشخصيات تتيح لنا أن نتبين اللحظة التى يسلم فيها تالجيتاوس قوسه لابنه الأصغر · وعلى الوجه المقابل من الاناء اسكيثيان آخران يحتمل كثيرا أن يكونا هما الأخوين المطرودين ·

ولنرجع الآن الى الاناء الذى يعد دون شك أشهر الأوانى الاسكيثية الشعائرية (٣) ، فقد اكتشف منذ حوالى نصف قرن في كورجان كول أوبا بشبه جزيرة كيرتش بالقرم . ويبدو على هذا



رسم تفصيل للافريز الدائرى الذى يزين اناء من ذهب وفضة (الرسم رقم ٣ ، والصورة على الصفحة ١٧) ولا يزيد ارتفاعه على عشرة سنتيمترات . اكتشف هذا الاناء فى جايمانوف باوكرانيا ، ويرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد . ونرى ثمة فارسين ملتحيين واشعرين يرتديان ثيابا من الطراز الاسكيثى (الى يمين الرسم) ، وتتبين الى اليسار رجلا مسنا يسلم شيئا لشاب . ولا ريب فى ان الصورة تمثل رواية مجازية اخرى لأسطورة تارجيتاوس .

الاناء سبعة من الاسكيث منهمكين فى اشغال متنوعة ، فأحدهم يشد وترا على قوس ، اى يؤدى المهمة التى كلف بها تارجيتاوس أبناءه ؛ ومن ثم فلابد أن المشهد يتعلق بالموضوع نفسه (الرسم رقم ٨ صفحة ١٦) .

ولكن كيف يمكن تفسير مضمون المشاهد الأخرى ؟ من ذلك أننا نرى اسكيثيا وهو يضمد جرحا بساق زميله ، والى جانبه اسكيثى آخر يولج يده فى فم أحد مواطنيه . انها موضوعات غريبة لا تخطر ببال أحد .

ويبدو القوس محدبا على ذراعة من الناحية المقابلة للوتر . فاذا حاول انسان أن يوتر القوس دون ان يستخدم ما يكفي لذلك من قوة ومهارة ، كما هو واضح على سطح الاناء فقد ينفصل ذراع القوس وينثنى ويلطم بشدة الساق اليسرى أو الفك الأسفل للشخص الذى يوتره . فيهشم احدى عظامه أو يكسر احدى اسنانه .

أليست الجروح الظاهرة فى الصورة هى التى اصيب بها ابنا تارجيتاوس الكبيران بعد أن اخفقا فى الاختبار الذى اجراه ابوهما ؟ أليس هذا هو ما اراد الفنان ان يصوره على اناء كول اوبا ؟

وكيف صور الاسكيث مصير أبناء تارجيتاوس بعد ذلك ؟ لم يحك لنا هيرودوت شيئا من ذلك ؛ ولكنا نجد فى المأثورات الشعبية العامة عددا كبيرا من الأساطير عن المنافسة التى احتدمت بين الاخوة الثلاثة وانتصر فيها الأصغر .

وتفترق هذه الحكايات الشعبية بعضها عن بعض فى الكثير من التفاصيل ، ولكنها تنتهي كلها بوجه عام الى نتيجة واحدة ، فحواها أن الأخوين قد غلت مراجل الحقد فى صدريهما لانتصار اخيهما الأصغر فقتلاه .

وعلى هذا النحو تنتهى مثلا أسطورة أبناء فريدون الثلاثة ، بطل الملحمة الايرانية القديمة التى نجد فيها العديد من سمات تارجيتاوس الاسكيثى .

ويحق لنا أن نفترض ان الأسطورة الاسكيثية تنتهى الى هذه الخاتمة تقريبا ؛ وذلك اذا فحصنا اناء جايمانوف الذى تظهر عليه صورة شخصين يمثلان على ما يبدو الأخوين الكبيرين وهما مدججان باسلحة ثقيلة ، فى حين لا يحمل الأخ الأصغر وابوه سوى قوسين . أليس من الجائز أن الفنان قد صور ها هنا اللحظة التى بدأ فيها تنفيذ الانتقام الرهيب ضد المزاحم الشاب ؟

وعلى المشط الذهبى المشهور من كورجان سولوخا (انظر الصورة بصفحة ٨) يبدو محاربان أحدهما راكب حصانه ، والثانى راجل ؛ يحاجمان محاربا ثالثا ينتصران عليه . فهل هؤلاء هم ابناء تارجيتاوس ؟

أنا لنجد تعزيزا لهذه الفكرة لدى الشاعر الرومانى فاليريوس فلاكوس (فى القرن الأول الميلادى) الذى كان يعرف نصا أكثر تفصيلا من نص هيرودوت بشأن الأسطورة الاسكيثية ؛ فقدم عن هذه الأسطورة المزيد من التفاصيل فى قصيدته « الأرجونوتيك » (أى ملاحو الأرجو) .

وفى فقرة من قصيدته ، لا علاقة تربطها بالأسطورة ، يذكر فجاة الصراع بين شخصين لهما اسمان شبيهان فى جرسهما باسمى ولدى تارجيتاوس اللذين أوردهما هيرودوت ، يصف هذا الصراع وصفا مماثلا للصورة الظاهرة على المشط الذهبى ؛ فحصان البطل قد خر صريعا ، أما البطل نفسه فقد جرح ، سوف يلقى مصرعه من لحظة الى اخرى .

وهكذا تتيح لنا هذه المشاهد المنحوتة أن نربط بين مختلف الروايات الأسطورية الاسكيثية التى سجلها الكثير من المؤلفين ، واعادة تأليف قصة فريدة متماسكة .

ولسنا ندهش من شيوع أسطورة تارجيتاوس وأبنائه ، وكثرة استخدام هذه الفكرة فى تزيين الأدوات الشعائرية ؛ ذلك لأنها أسطورة تتعلق بسلالة ملكية تعزز حق ملوك اسكيثية فى عرشها .

ولهذا السبب ليس من المستبعد أن تكشف لنا فى المستقبل أعمال التنقيب فى الكورجانات (المقابر الاسكيثية) عن تصاوير جديدة لهذا الموضوع .

ومع ذلك فان هذه التفسيرات نفسها ليست اكيدة لاجدال فيها ، أو مسلما بها من الكافة . وانما هى محاولات تقريبية احتمالية لفهم الموضوع ومازال السعى وراء الحقيقة مستمرا .

من اليمين الى اليسار : فارس على راسه قلنسوة مدببة ، يضمد ساق احد زملائه ، ثم فارس آخر يؤدى على ما يبدو مهمة طبيب الأسنان ؛ فيفحص فم شخص جالس قبالته ، وآخر يوتر قوسه ، وهو عمل مألوف لدى لدى ابناء تارجيتاوس ، وفارسان آخران يتحادثان وقد اتكا كل منهما على حربته . هذا زخرف مأخوذ من سطح اناء من الألكتروم (مزيج طبيعى من الذهب والفضة) اكتشف فى كول اوبا بالقرم (الرسم رقم ٣ بصفحة ١٤) يصور لمحات من حياة الاسكيث منذ ٢٤٠٠ سنة .

١- أربعة من الاثريين الأوكرانيين يعرضون اكتشافاتهم الحديثة

في سهول الاستبس شرق اوربا ترتفع ضرائح الملوك الاسكيثيين الأقدمين ، وهى عبارة عن رواب جنازية نسميها اليوم « كورجانات ملكية » . وقد سطا اللصوص منذ قديم الزمان على هذه القبور ، لما تضمه من ذهب .

ولأول مرة ، فى السنوات الست او السبع الأخيرة ، جرت حملات تنقيبية منهاجية على نطاق واسع ؛ استخدمت فيها أحدث الطرق ، بفضل المبادرة التى قام بها معهد الآثار باكاديمية العلوم باوكرانيا .

ولهذه الأبحاث فى كورجانات الملوك الاسكيثيين التى اجريت فى مناسبة تنفيذ مشروعات ضخمة لاصلاح الأراضى فى جنوب أوكرانيا اهمية خاصة ، ذلك لأن هذه المقابر ، رغم ما جرى فيها من حفريات فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ورغم حوادث السطو التى تعرضت لها فى العصور القديمة ؛ مازالت تضم كنوزا خرافية ، فقد وجد بها مصوغات بديعة ، وأسلحة ، وآنية نفيسة ، وكلها من روائع الفن القديم التى تضاف منذ الآن الى كنوز التراث الثقافى العالمى .

ويرجع تاريخ الكثير من هذه الكورجانات الملكية الى القرن الرابع ، أو الخامس قبل الميلاد ؛ نذكر منها : تشير تو ملك ، وسولوخا ، وأوجوز ، والكسندروبول ، وكوزبول ؛ وبولشايا ، وتسيالكا ، وتشميريف ، وغيرها ؛ وتقع كلها فى اوكرانيا ، فى مناطق دينيرو بتروفسك ؛ وزابوروجيا ؛ وخيرسون . ولابد من ان نذكر ايضا كورجان كول اوبا بالقرب من كيرتش لما يحتويه من كنوز ثمينة .

ويعرض بعض الأثريين فيما يلى بعضا من أحدث اكتشافاتهم

ايفان ارتيمنكو

مدير معهد الآثار باكاديمية العلوم باوكرانيا

الاناء الذهبى من جايمانوف



٢- الإناء الذهبى من جايمانوف

في عام ١٩٦٩/١٩٧٠ اجرى معهد الآثار باكاديمية العلوم باوكرانيا حملة تنقيب فى « جايما نوفا موجيلا » ، او « كورجان جايمانوف » بالقرب من قرية بالكا بمقاطعة فاسيلييف باقليم زابوروجيا . وتبرز الربوة الجنازية بوضوح فى صدد منظر طبيعى يتشكل من قرابة خمسين ضريحا صغيرا ، تضم رفات محاربين اسكيثيين ، ارتفاع كل منها من متر واحد الى متر ونصف .

ويبدو ارتفاع كورجان جايمانوف أكثر من ثمانية أمتار وقطره حوالى ثمانين مترا . وتفصح الأبعاد الشاسعة لهذا الكورجان ومظهره العام الذى يبرز بوضوح امام المنظر الطبيعى المسطح للاستبس وتعزز كسوته المكونة من حجارة بيضاء لامعة الطبيعة غير العادية والعظمة التى تتسم بها الشخصية المدفونة فيها . فقد كان هذا الكورجان قبرا لأسرة ملك اسكيثى . وتتوافق الطقوس الجنازية والأشياء التى اكتشفت فى الكورجان مع ما أورده هيرودوت عن الجنائز الملكية . وقد وجدت هناك اوان ذهبية وفضية من مخصصات السلطة الملكية الاسكيثية ، فمنها كؤوس وأقداح وأباريق وكذا الخدم الذين دفنوا مع سيدهم ؛ كما يقول هيرودوت .

ولا تعزى شهرة كورجان جايمانوف باعتباره أثرا من أثمن الآثار التاريخية فى بلاد اسكيثية الى الأوعية النفيسة للغاية المستخدمة فى المطبخ وعلى المائدة ، او الى الآلاف من المصوغات الفاخرة التى تضمها فحسب ، وانما قبل كل شىء الى الأشياء التى اكتشفت فى كوة خفية فى شمال المقبرة .



-٣-

على قلادة الأمير تمثل حياة شعب وأعماله

على هذه القلادة الذهبية (الى اليسار) نحت الفنان بدقة مدهشة مشاهد رعوية جعلت من هذه الحلية الأسطورية قصة تسجيلية للحياة اليومية لدى الاسكيث • ومن ذلك ان التكوين الأوسط للافريز الأعلى للقلادة (الى اليسار صورة تفصيلية لهذا التكوين) يصور رجلين راكعين ممسكين برداء من جلد الخراف يقومان بخياطته بابرة مقوسة • اما سراويلهما واحذيتهما فانها على نمط ثياب الفرسان البدو • وقد اكتشفت في عام ١٩٧١ ؛ في قبر ملك اسكيثي باوكرانيا • هذه القلادة الاغريقية الاسكيثية المصنوعة على شفاف البحر الأسود في اواخر القرن الرابع قبل الميلاد •

كان عيدا سعيدا لعلم الآثار حين جرى في عام ١٩٧١ التنقيب في كورجان (مقبرة) من أعظم الكورجانات الملكية في اسكيثية ، كورجان « تولستايا موجيلا » • ففي وسط الكورجان لحد الملك ، والى جانبيه حفرتان للخيول ؛ وثلاثة قبور لسواس الخيل • وفي الجنوب الغربي يقعان سرداوان ؛ هما مدخلان لمقبرة جانبية لم تزل بحالتها الأصلية ، ووجد بهذه المقبرة الهيكل العظمى لامرأة اسكيثية يرجح أنها زوجة الملك ، وكل ثيابها من فستان وخمار وخفاف موشاة برقائق ذهبية دقيقة الصنع ، وكل حليها أيضا من ذهب •

والى جوار المرأة دفن طفل في ناووس من المرمر ؛ أدخل فيما بعد الى المقبرة من مدخل خاص وهيكله العظمى الصغير مغطى كله بصفائح ذهبية وخواتم وأساور وحليات للرقبة • وقد بقي كل ذلك على حاله سليما • وكان الأثريون هم أول من ولج المقبرة بعد أن مضى على زمن الدفن ألفان وثلاثمئة سنة •

أما المقبرة الوسطى فقد نهبت ، ومع ذلك اكتشف بها الأشياء التي ذاع من أجلها صيت تولستايا موجيلا ، وهي من أثمن عناصر الأبهة المتعلقة دون شك بالملك ؛ منها السيف المموه بالذهب ، والسوط المزين بالحلى ؛ ثم الصورة الذهبية ، وتزن ١١٥٠ جراما ؛ وهي على شكل هلال ، وتتكون من ثلاثة صفوف هلالية الشكل ؛ تفصلها جدائل جميلة •

ففي وسط الصف الأسفل ثلاثة مشاهد متتابعة تتمثل فيها بعض الوحوش الخرافية (وكل منها نصفه نسر ونصفه أسد) تهاجم حصانا وتمزقه ، وخلف هؤلاء نشهد صراعا بين أيل وخنزير برى وبين فهود وسباع ؛ ثم نرى كلبا يطارد أرنبا بريا ، وأخيرا جرادتين تواجه احداهما الأخرى ، وهما رمز السلام والهدوء •

وثمة زخرف نباتي من أغصان رقيقة يزين الصف الأوسط • وفي داخل شبكة بديعة من زهور ملتفة وسيقان نخل وسعف نخل ووريدات وأوراق تشيع عصافير خمسة الهدوء في صبيحة يوم مشرق •

هذا الافريز الأوسط الذي يشكل وحدة متكاملة مع الصف الأسفل يخلق نسيجا زخرفيا رائعا بين الشخوص المنحوتة نحتا بارزا في الصفين الأعلى والأسفل • وهكذا أنجز العمل كله في جو من قصيد شعرى سيمفوني عن الحياة والمفاهيم الاسكيثية •

وفي الصف الأعلى نشهد اربعة من الاسكيثيين يمارسون أشغالا سلمية وسط حيوانات اليفة • وفي الوسط رجلان عاريا الجذع ، وبجانبهما قوسان وكنانتان ؛ يخيطان رداء من جلد الخراف وعلى كلا الجانبين فرس وبقرة ترضعان صغارهما ، وبعدهما اسكيثيان صغيران منهمكان في حلب نعجتين • وينتهي الافريز بطائرين يحلقان ، ويفتحان هذا التكوين البديع على عالم ليس له حدود ولا قيود •

وان النسب المضبوطة الى حد الكمال ، وحلاوة الايماءات سمتها الطبيعية ، لتجعل من كل شخصية ممثلة عملا فنيا من روائع النحت • ولا شك ان لهذا العمل في مجموعه • وفي تكوينه العجيب ، دلالة رمزية مركبة • وبغض النظر عن المعنى الواقعي لهذا العمل فان صانعه كان مدفوعا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ؛ برغبة قوية في ان ينقل لنا تصويرا فلسفيا للعالم المعاصر وآماله وأحلامه •

ولأول مرة لا نرى على الأشياء الشماترية المتعلقة بأحد الملوك مشاهد حربية • أو مقاتلا من

فسها أوان شماترية من ذهب وفضة ؛ وثلاث كؤوس خشبية مزخرفة بملصقات من وريقات ذهبية ، وكأس فضية ذات فوهة واسعة ، وكأسان للشراب على شكل القرون ؛ بقاعدة فضية وقمع ذهبي ؛ ويمثل طرف احداهما رأس سبع ، وطرف الثانية رأس كبش ، والابريق فضية ؛ وقدح مستدير في كأس من الفضة المذهبة •

وباستثناء كأس كبيرة على شكل القرن • وكؤوس أخرى خشبية من صنع فنان اسكيثي • فان الأشياء الأخرى التي يضمها هذا المخبأ قد صنعت طبقا للأسلوب الفني الاغريقي في القرن الرابع قبل الميلاد • ومن ثم فهي قريبة الشبه من فن الصياغة في البوسفور •

وتحتل مكان الصدارة بين روائع الفن الاسكيثي السيبري في كورجان جايماتوف كأس كروية صغيرة ذات مقابض الفضة مسطحة ، مزينة برؤوس كباش • وتزدان الكأس نفسها بافريز عريض من النحت البارز بصور ستة من المحاربين الاسكيثيين (انظر المقال بصفحة ١٥) • ويبرز المحاربون على قاعدة سوية ؛ ويربطهم موضوع واحد • ويتوافق التكوين تماما مع شكل الشيء نفسه ، فالأشخاص الرئيسيون الأربعة فالحون مثنى مثنى على مقبض الكأس ، في حين ان الاثنين الآخرين اللذين ليس لهما سوى أهمية ثانوية راكعان ؛ كل منهما تحت مقبض من مقبض الكأس •

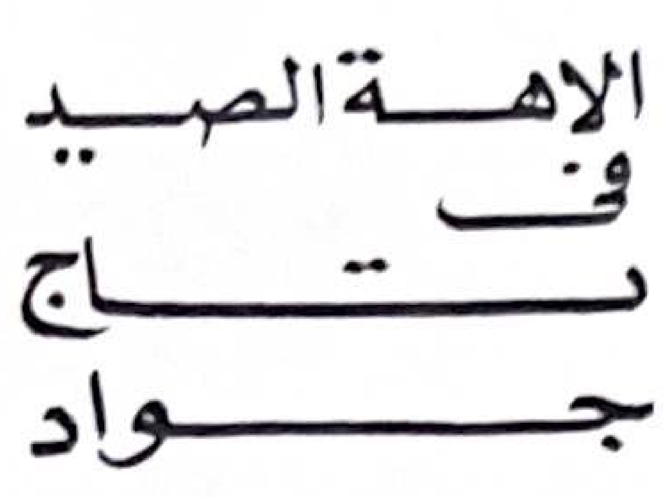
وفي وسط الافريز محاربان ملتحيان ولهما شعور طويلة ، وقد جاوزا طور الشباب ، يتحادثان ؛ وقد ارتديا ثيابا غالية " ويحملان أسلحة فاخرة • أما القفطان ذو الجيوب المثلثة الشكل فانه مكفف بالفرو ، ومطرز عند الكتفين وعلى الصدر بزخارف « أرابيسك » غريبة • وترمز أسلحتهما وأسلوب تصفيف شعر رأسيهما بنوع خاص الى السيادة ؛ كما تشير المطرقة الضخمة التي يحملها أحدهما بيده ؛ والسوط الثنائي السيور في يد الثاني • الى أنهما من زعماء الاسكيث •

وعلى الوجه الآخر من الكأس محارب مسن ملتح يتحادث مع اسكيثي شاب ، وعلى الاثنين طراز واحد من الأثواب الفاخرة والأسلحة الشبيهة ؛ ولكن وضع كل منهما هو المختلف عن وضع الآخر • أما الاسكيثي الشاب فانه ممسك بقوس شماتري في يده اليمنى ، وباسط يده اليسرى مثلما يفعل محدثه •

وتحت أحد المقبضين شاب منحن على ركبته فوق قربة ؛ وتحت المقبض الثاني محارب كهل راكع بجانب كنانته التي تضم قوسه وسهامه ، رافعا يده الى جبهته ، وممسكا بشيء ما في يده الأخرى • وكل الشخوص ملتحية ؛ فيما عدا الوجوه والأيدي فانها من فضة ، ولا يشبه أي شخص منها شخصا آخر • وهذه هي أول مرة تصادف فيها ، في الفن التصويري الاسكيثي ؛ شخصيات تمثل السلطة العليا •

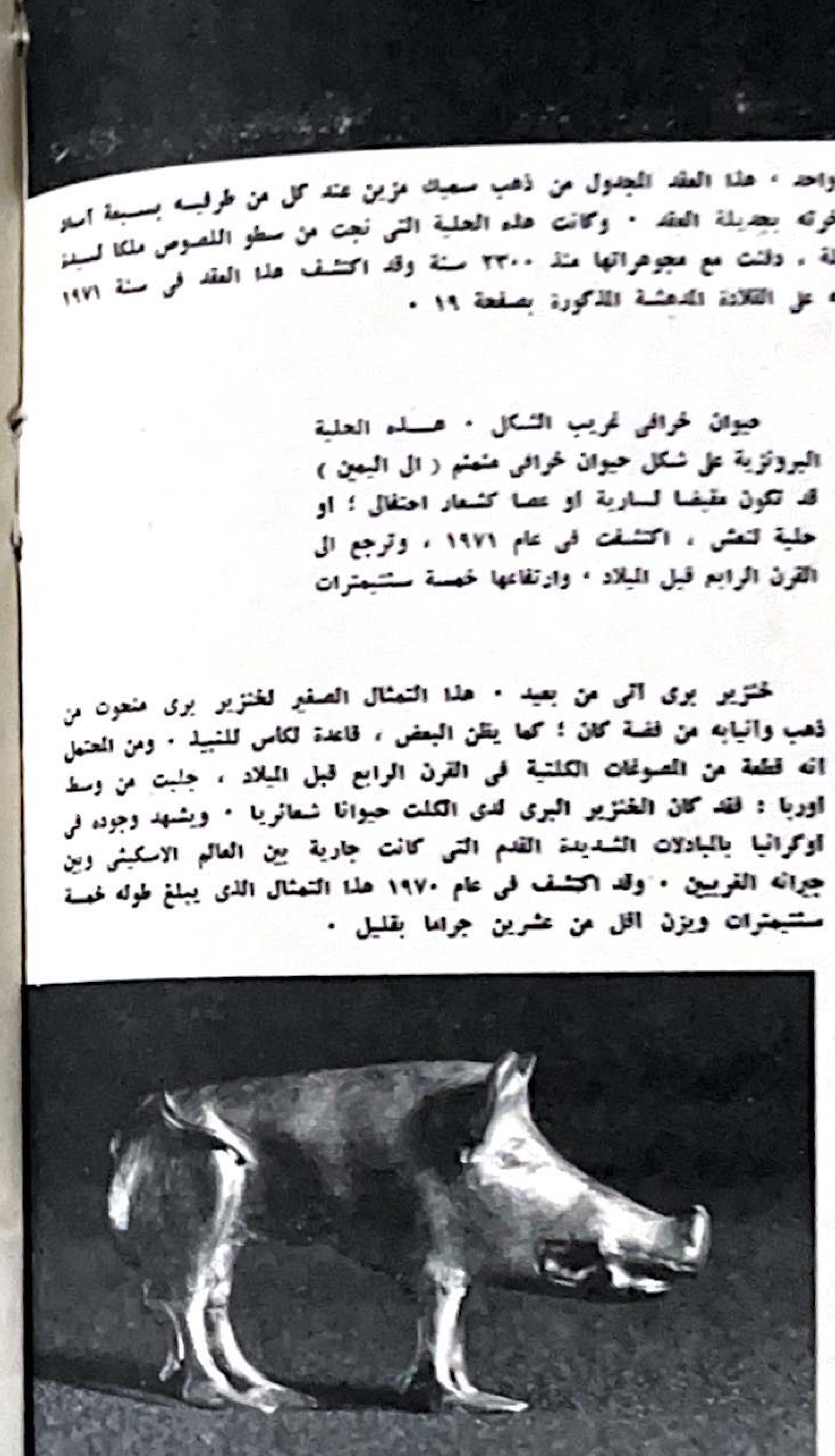
فاسيل بدزيليا
بمعهد الآثار بأكاديمية العلوم بأوكرانيا

-٤-



الالهة الصيد في تاج جواد

ايبعث من الوار العصور الخالية .. هذى صورة كاملة نحتت في الحجر الجيرى منذ ٢٥٠٠ سنة لمحارب اسكيثى ، معتمر بخوذة ، ومشتمل بدرع (انظر ايضا اللوحة بصفحة ١٣) . ومن نطاقه يتدلى سيف قصير اسكيثى النمط ، وكنانة للقوس والسهام ، وبلطة حربية ، وخنجر فى غمد . ويلف المحارب حول رقبته عقدا او قلادة اسكيثية غير مشبوكة ، ويده اليمنى يضغط على صدره اناء للشراب على شكل قرن . ولاشك ان هذا التمثال الذى يبلغ ارتفاعه مترين كان فى الأصل قائما على ربوة فوق قبر . وقد اكتشف فى عام ١٩٧٥ فى موضع ليس ببعيد عن البحر الأسود ، اكتشفه الربون من اكاديمية العلوم باوكرانيا .



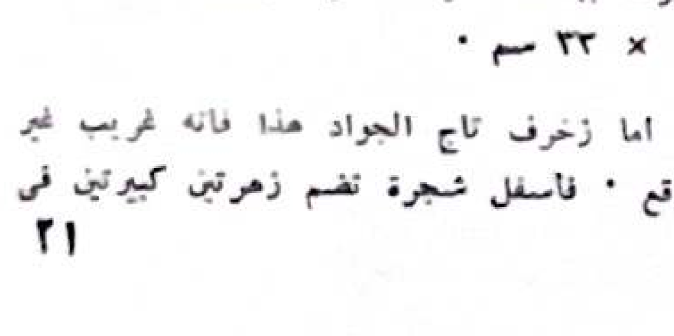
المخرج

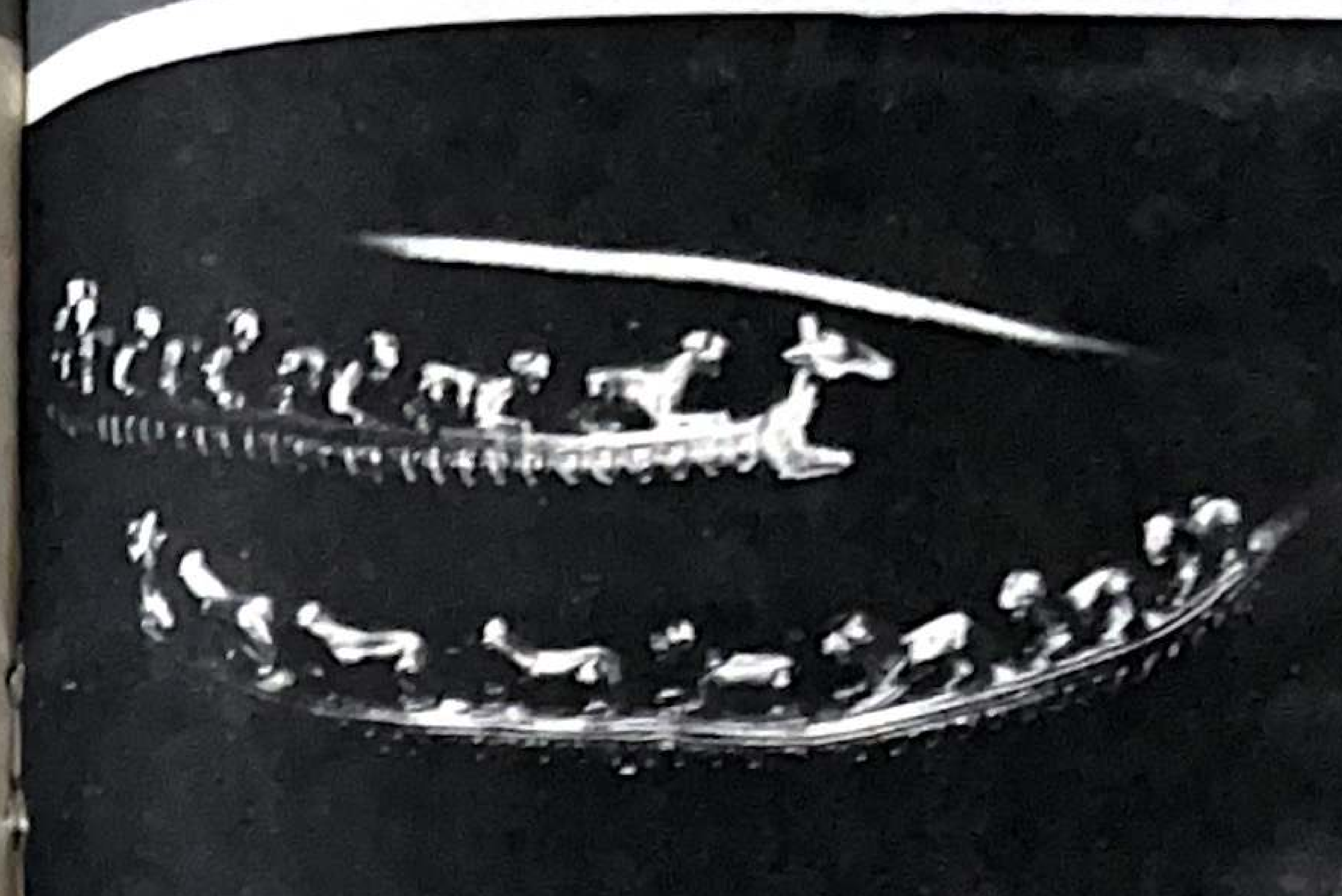
من باطن الأرض حديثا فى أوكرانيا حلية اسكيثية ذات جمال وغرابة نادرين ، تبلغ من العمر ٢٤٠٠ سنة ؛ ويمكن مشاهدة هذه التحفة التى نشرت صورتها لأول مرة فى الصفحتين الوسطيين بهذا العدد) . ففى عام ١٩٧٦ اكتشف فى نهاية دهليز قبر لم ينتهك حتى الآن لرجل وفرسين . وقد اتاح العمل الدقيق الذى انجزه اثنان من الخبراء المتخصصين فى آثار أوائل عصر الحديد ؛ وهما ا.ب. سافوفسكى ؛ و ا.ب. بولتريك ان يكتشفا هذا القبر ، فى اثناء اعمال التنقيب التى اجرياها بقرية جيونوفكا بمقاطعة كامينسكو دينيروفسك باقليم زابوروجيا .

اما الرجل ، ويبلغ من العمر قرابة ٢٥ عاما ؛ فانه كان راقدا بالقرب من حائط المدخل . وثمة اشياء متواضعة (قرط ذهبى ، وسوار من حديد وعقد من خرزات ، وحزمة من السهام) تشهد بانه من الخدم أو العبيد ، والأرجح انه كان سائسا للخيول . وثمة حصان بالقرب من الحائط المقابل ، مسرج سرجا متواضعا : شكيمة ، وحليات للعنان من حديد .

وعلى العكس من ذلك يثير طقم الحصان الثانى المدفون فى الوسط دهشتنا بفخامته . فدرع الجبهة مزخرف بتصاوير السباع . وثمة حليتان للسرج تمثلان اسدا يمزق ايلا ؛ واربع فراشات ليلية ، او اقراص لولبية ، وصفيحتان بلا حليات وكل هذه الأشياء من فضة . ورأس الحصان مكسو بحلية مسطحة من جلد مصبوغ بلون أزرق فاتح ، مربوط بها صفيحة مخرمة باشكال هلالية ٢٠ × ٣٣ سم .

اما زخرف تاج الجواد هذا فانه غريب غير متوقع . فاسفل شجرة تضم زهرتين كبيرتين فى





سبعة أساد على ايل واحد . هذا العقد المجدول من ذهب سميك مزين عند كل من طرفيه بسبعة أساد تطارد ايلا تختلط مؤخرته بجديلة العقد . وكانت هذه الحلية التى نجت من سطو اللصوص ملكا لسيدة اسكيثية من سلالة نبيلة ، دفنت مع مجوهراتها منذ ٢٣٠٠ سنة وقد اكتشف هذا العقد فى سنة ١٩٧١ فى القبر الذى عثر فيه على القلادة المدهشة المذكورة بصفحة ١٩ .

الشيء ، وانما الحياة المادية بكل ما فيها من الفة والسحام .

ولم يعرف الخبراء المختصون بالشعوب الاسكيثية حتى الآن مثيلا لهذا الاكتشاف . ويحكى فى هذا العمل بريق الذهب الذكى والتماعه ، مثلما تنعكس اشعة الشمس فى قطرة الندى ؛ ويتجلى الذهب الوثير ، اكثر من الذهب فى كورجان كول اوبا .

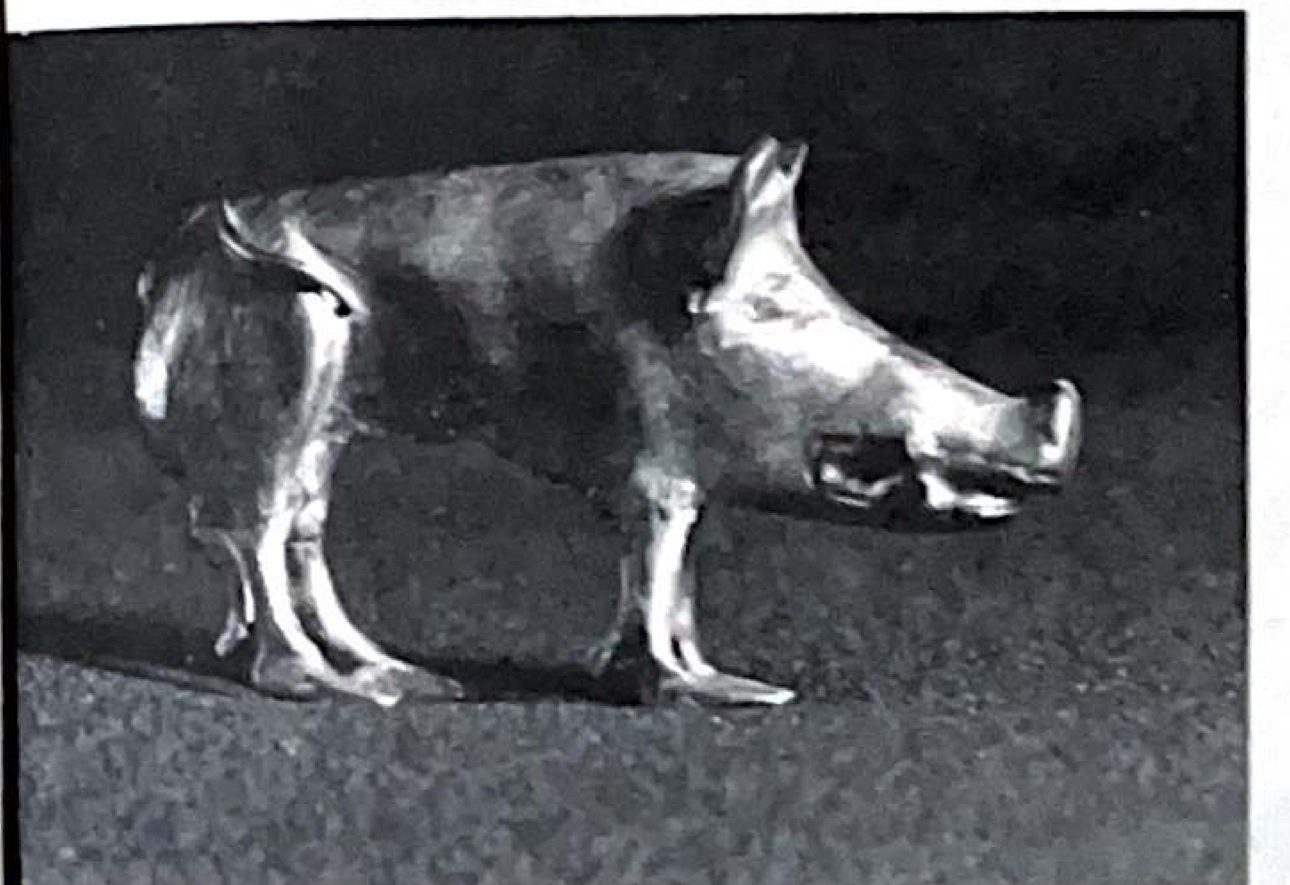
وليس الذهب هو الشيء الذى له اكبر قدر من الأهمية ، وانما هو بالتأكيد المعرفة التاريخية النسبية التى يتضمنها كل شيء فى هذا الكورجان ، والقيمة الفنية الاكيدة لأجل القطع التى تحويها .

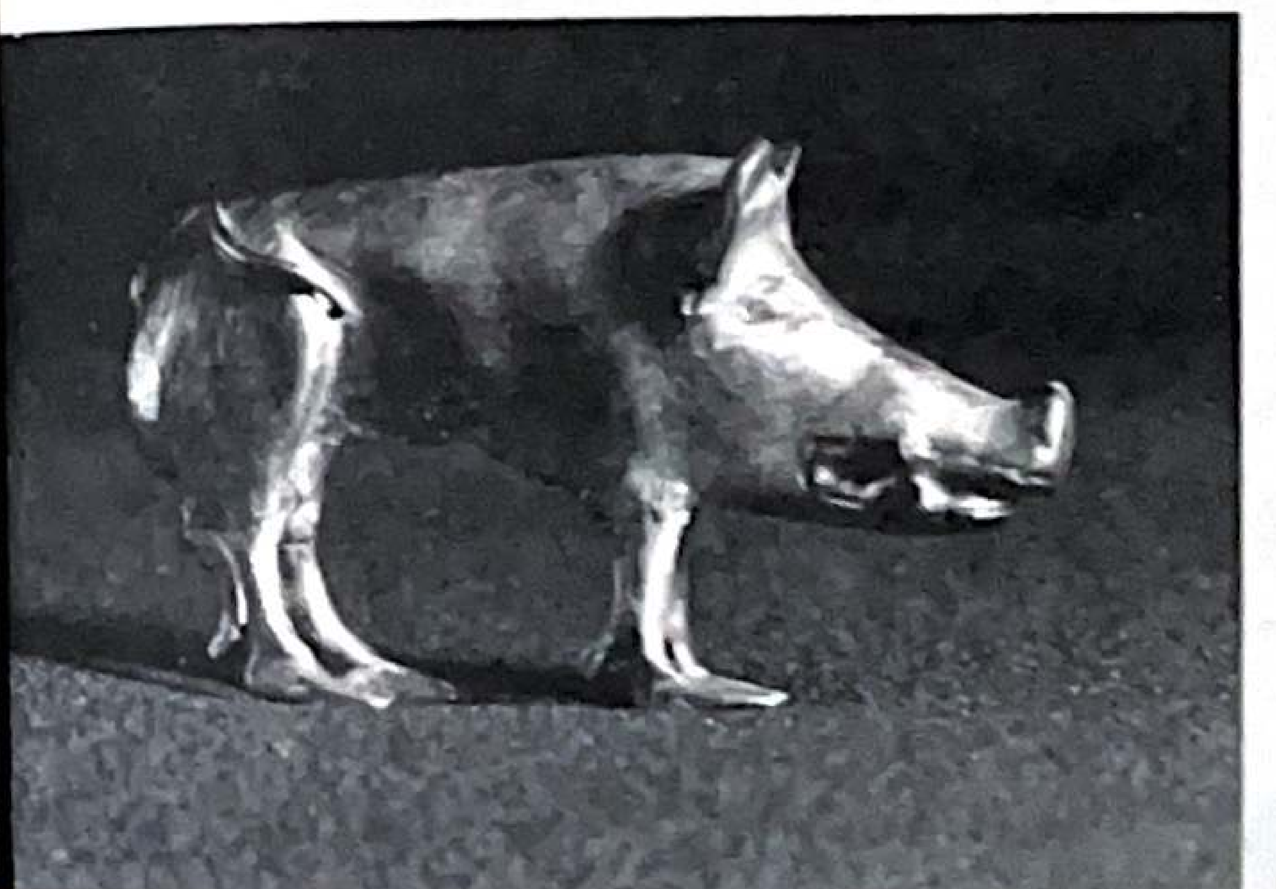
بوريس موزوليفسكى

بمعهد الآثار بأكاديمية العلوم باوكرانيا

حيوان خرافى غريب الشكل . هذه الحلية البرونزية على شكل حيوان خرافى منمنم (الى اليمين) قد تكون مقبضا لسارية او عصا كشعار احتفال ؛ او حلية لنعش ، اكتشفت فى عام ١٩٧١ ، وترجع الى القرن الرابع قبل الميلاد ، وارتفاعها خمسة سنتيمترات

خنزير برى آتى من بعيد . هذا التمثال الصغير لخنزير برى منحوت من ذهب وانيابه من فضة كان ؛ كما يظن البعض ، قاعدة لكاس للنبيذ . ومن المحتمل انه قطعة من المصوغات الكلتية فى القرن الرابع قبل الميلاد ، جلبت من وسط اوربا : فقد كان الخنزير البرى لدى الكلت حيوانا شعائريا . ويشهد وجوده فى اوكرانيا بالمبادلات الشديدة القدم التى كانت جارية بين العالم الاسكيثى وبين جيرانه القريبين . وقد اكتشف فى عام ١٩٧٠ هذا التمثال الذى يبلغ طوله خمسة سنتيمترات ويزن اقل من عشرين جراما بقليل .





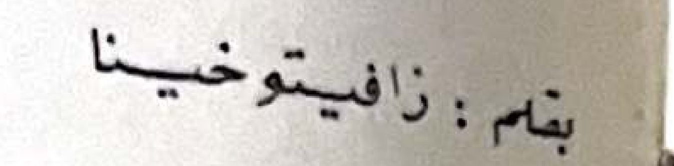
پازيريك

طريقة بدوية للحياة

قبور بجبال سيبيريا تحت أعماق الجليد منذ ٢٥ قرنا

بقلم : زافيتوخينا

ماريا بافلوفنا زافيتوخينا عالمة آثار سوفيتية ؛ وسكرتيرة شعبة تاريخ ثقافات ما قبل التاريخ ، وامينة آثار العصور القديمة بمتحف ولاية هرمتاج (لينتجراد) . وادارت لعدة سنوات حفريات التنقيب عن آثار من عصر الاسقوثيين باقليم كراسنويارسك ، وهي مؤلفة لدراسات كثيرة في علم آثار سيبيريا القديمة .



ان الطاى العليا في سيبيريا قطر مهيب صارم . وفوق سهولها ومراعيها الجبلية . في اواسط الألف عام الاخيرة قبل الميلاد ، تجولت القبائل البدوية التي رافقها العلماء مع حيوانات الغرفين الأسطورية : حارسة الذهب . وقد تركوا وراءهم وهم يتعقبون قطعان الماشية والخيل في تجاويف المرتفعات الأرضية عددا لا يحصى من الروابي المغطاة بالركام . تعرف باسم كورجان أو روابي القبور .

وبدا في عام ١٩٢٩ عالمان من لينتجراد . هما س.١.رودنكو ؛ و م.ب. جرايزنوف ، عمليات التنقيب في أرض القبور العتيقة في مكان يسمى بازيريك على ارتفاع ١٫٦٠٠ متر فوق سطح البحر ، بوادى أولاجان النائي في سيبيريا .

وأثارت كشوف الروابي الأولى التي ثبت أنها متجمدة صلبة وتحتوى على سلع كان لابد من النظر اليها بطبيعة الحال على أنها « هالكة » اهتماما لم يسبق له مثيل .

ونتج عن عودة رودنكو في ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ على رأس حملة بحثت في أربع رابيات أخرى متجمدة اربع نتائج مثيرة . وعندما منحت القبور « المثلجة » ابسطة وملابس واحذية ومركبة شعائرية واجسادا محنطة للرجال والنساء والخيل في زخارفها الفخمة : . والأوعية من جميع الأنواع ، والآلات الموسيقية والأشياء الأخرى ـ يبلغ عمر معظمها ٢٥٠٠ عام أصبح اسم بازيريك الضئيل الشهرة ذا شهرة عالمية .

توجد الفجوات التي تقع فيها الروابي خارج المنطقة التي تكون فيها الأرض متجمدة باستمرار . ولكن مناخ الطاى العليا : بدرجات حرارتها السنوية المنخفضة . وفصول الشتاء الحالية من الجليد تقريبا ؛ وفصول صيفها القصيرة ، حيث تظل لياليه باردة ، أدى الى تكوين « الميرزلوتا » أي الدائمة التجمد تحت الركامات نفسها . وصانت أحجارها الأرض من الحرارة في الصيف ؛ وسمحت للتجمد الجليدى بالوصول الى عمق سبعة أمتار ، حيث لم ترتفع درجة الحرارة قط الى أكثر من درجة التجمد . وتحول الماء الى ثلج حين تسرب الماء الى داخل القبور التي كانت محتوياتها شديدة التجمد . وفي حالات مثالية من الوقاية .

وقد واجه علماء الآثار مشكلة غير عادية فلكي يشاهدوا ما بداخل القبور كان عليهم أن يضعوا جانبا الأدوات الخاصة برفع النباتات ؛ وسكاكينهم . وفرش التنظيف . ويسكبوا كميات هائلة من الماء الساخن لاذابة الجليد .

وقد أقام سكان الطاى على نحو مثار قبورا رائعة متبعين تقاليد وشعائر مشابهة لتلك التي كانت لدى عشيرتهم من « الاسقوثيين » وشيدوا في باطن فجوة عميقة فسيحة حجرة مبطنة بجذوع الشجر ذات سقف وجدران مضاعفة السمك ؛ ووضعوا على الأرض التوابيت التي ستستقبل أجساد الموتى المحنطة ، وزخرفوا جدران القبر بستائر من اللباد ، وزودوها بممتلكات الرجال والنساء الشخصية ؛ الذين كانوا يدفنونهم ، بالاضافة الى الطعام والشراب .

وكانوا يضعون خارج المدفن جيادا ذات اغطية مزركشة أنيقة ذبحت في يوم الدفن ، بل تركوا وراءهم بعض الأدوات التي استخدمت في اعداد القبر : المجارف الخشبية : والمعاول . والمطارق وكذلك الحاملات المتحركة والسلالم . ثم أخفوا القبر بعناية ، بطبقات من لحاء شجر البتولا واوراق من شجيرات « الشاى الدخاني » وسقفوه الى مستوى سطح الأرض بجذوع من الشجر الصنوبرى . وكوموا التربة على القمة ، ثم رفعوا في النهاية ركاما من الأحجار فوق الرابية .

وتشير الأشياء التي وجدت في القبور ؛ والبيانات التي عرفت من تحليل الكربون الاشعاعي ، الى أن هذه الروابي المدفنية قد شيدت في القرن الخامس أو الرابع ق.م .

وزودت المراعي الرائعة ومواسم الشتاء الخالية تقريبا من الجليد بدو الطاى بالرعى الممتاز طوال العام لقطعانهم من الخيل والماشية والأغنام والماعز التي زودتهم بجميع حاجاتهم اليومية من الطعام والملبس والمأوى .

وكان الحصان بالنسبة لهذه الشعوب البدوية هوالوسيلة الأساسية للتنقل ، وبالاضافة الى قلة توالد خيولهم المستخدمة في جر الأثقال محليا فانها كانت تحظى بتقدير رفيع وبراعة في سرعة الجرى ؛ وبلون ذهبي وكستنائي . وهي في الأصل من أواسط آسيا ، بل انهم اخذوا معهم خيول الركوب هذه الى داخل القبر .

لما كان الاسكيث بارعين في ركوب الخيل فانهم اعتنوا عناية كبيرة بأدق اجزاء اطقم الخيل التي زينها النحاتون والصاغة بحلى فاخرة على مثال الأشياء المصدرة بهاتين الصفحتين .

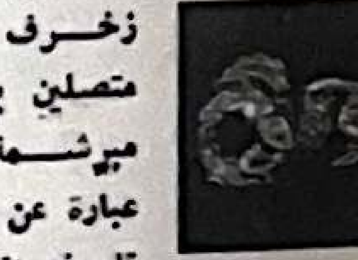


راس آيل ◀

تاج ذهبي ▶



ثلاثة حيوانات من الجوارح تتنازع للحصول على فريسة : صفيحة ذهبية كانت جزءا من الكنز السيبيري الخاص بالقيصر بطرس الأكبر ، في اوائل القرن الثامن عشر . وقد نجت هذه المجموعة من التحف الفنية الاسكيثية من الذهب المصمت من سطو لصوص المقابر .



وحش خرافي يهاجم حصانا: زخرف ذهبي كان جزءاه متصلين بصفيحة نحاسية مبرشمة بالفضة . والقطعة عبارة عن ابزيم نطاق . يرجع تاريخه الى ٢٥٠٠ سنة . وقد اختفت الأحجار الكريمة التي كان مرصعا بها .

صورة زخرفية ؛ بأكمام حمراء ، امرأة تمتطي حصانا وتطلق بقوسها سهما على أيل . اما أقدام الحصان والأيل فانها تطأ اغصانا لنباتات صغيرة .

والأشكال الزخرفية النباتية هي الغالبة : فتشبه قرون الأيل تماثل غصون الشجر ، وثمة شريط زخرفي عريض من حليات عربية (أرابيسك) نباتية يطوق المنظر . انها لوحة زخرفية مصغرة ، مخرمة ومسننة ، وتكتسب الأثر اللوني بتوليفة من قطع ذهبية حمراء ورمادية .

وليس من شأن الواقعية في هيئة الفارسة وثوبها أن تنسينا طبيعة الموضوع الميثولوجية (الأسطورية) . ذلك لأن فكرة موت الأيل تتجلى ثلاث مرات على حليات طقم الحصان : فمرة نرى سبعا يفترس الأيل (في حلية اللجام) ، ومرة نرى وحشا خرافيا (نصفه نسر ونصفه أسد) يمزق الأيل . وذلك على الصفائح الذهبية ، ومرة ثالثة نرى رجلا يقتل الأيل (على درع قصبة الأنف) .

من الواضح أن كل شيء على « تاج الحصان » هنا اصطلاحي ، آية ذلك رسم الشجر والنبات بأسلوب معين : فالفنان يفكر في أرتميس الاغريقية العذراء (الهة) الصيد . ونحن نعلم أن صائدا طائشا اسمه « اكيتون » تاه في غابات أرتميس المقدسة ؛ وفاجأ الالهة وهي تستحم . وغضبت الالهة فحولته أيلا لكي يغدو فريسة للصائدين .

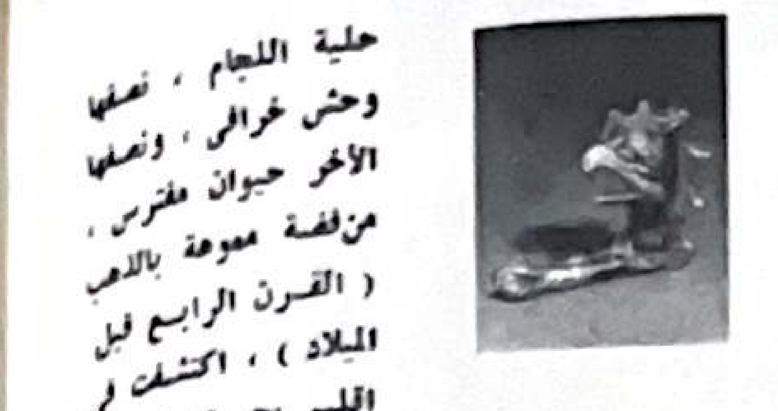
ويحتمل أن الاسكيث كانوا متأثرين بفكرة الصائدة : فقد أنبأنا هيرودوت بأن نزعة «معيارية انسانية» (تشبيه الاله بالانسان) قد تبدت في حوالى القرن الخامس قبل الميلاد في ديانة الاسكيث .

نضيف أن هذا الاكتشاف حديث للغاية . فلا يتسنى لنا أن نستخلص منه نتائج حاسمة .

فيتالي أوترو تشينكو بمعهد الآثار بأكاديمية العلوم بأوكرانيا



راس من البرونز لحيوان مفترس (من القرن السادس او الخامس قبل الميلاد) يشكل حلية لعريش عربة او سارية في كوبان (بالاتحاد السوفيتي) يبلغ ارتفاعها ٣٦ سم . وقد بقى بها اثنتان او ثلاث من الجلاجل التي كانت معلقة بها . وفي وسطها نحت لمثال صغير لوعل رابض .



حلية اللجام ، نصفها وحش خرافي ، ونصفها الآخر حيوان مفترس ، من فضة مموهة بالذهب (القرن الرابع قبل الميلاد) ، اكتشفت في اقليم بحر آزوف .





راس وحش خرافي (نصفه نسر ونصفه اسد) من ذهب مسبوك ومنحوت باليد (القرن الرابع قبل الميلاد) يشكل حلية لطقم حصان ، ويبلغ ارتفاعه ٥ر٣ سم ، ووزنه ٥٠ جراما .

رنة من البرونز (القرن الرابع قبل الميلاد) تقترن فيها والعية الحركة بصورة مدهشة بالأشكال المنمنمة .

درع قصبة انف الحصان ، منحوتة في قرن الأيل في القرن الخامس قبل الميلاد ، من ابداع فنان اسكيثي من « الطاى » . ويبلغ ارتفاع الدرع حوالى عشرين سنتيمترا ، ويضم راس حيوان متوحش واوزتين متعانقتين في تجميع حيواني عجيب ؛ وتنتظم المخالب والأعناق والأظلاف والآذان بكيفية متماثلة ، ومع ذلك يبقى الموضوعان الزخرفيان متميزين . هذا الشكل مثال بارع للازدواج التشكيل الخاص بالفن الاسكيثي .



تشهد في صفحتي هذا العدد الملونتين ، صورة فوتوغرافية ، صورت ونشرت لأول مرة ، لعصابة ذهبية كانت تزين راس حصان من خيل الاستبس منذ حوالى ٢٤٠٠ سنة ؛ واكتشفت في اوكرانيا . هذه التحفة تكفي وحدها لتخليد ذكرى ابهة الفيجان البدو الاسكيث ، وهي مثبتة على ركيزة من الجلد الملون ، وتمثيل عناصرها الأساسية حكاية صيد الأيل (انظر المقال بصفحة ٢١) . هذه القطعة الرائعة محفوظة بمتحف الكنوز التاريخية بكييف (جمهورية اوكرانيا الاشتراكية السوفيتية) .

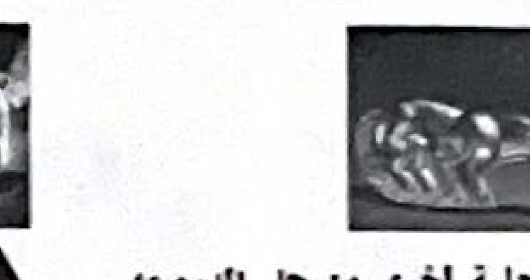


▲ راس الحصان المصنوع من العظم (وطوله ١١ سم) هو انموذج لفن توفا ، وهو اقليم وسط سيبيريا بالقرب من منغوليا حيث كانت الخيول والرنة ، وحتى الجمال المتوحشة موجودة بكثرة في الزمان الماضي . وتتيح الثقوب الموجودة بهذا الشيء ، المنحوت بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد ؛ خياطته على اللابس .









▲حلية اخرى من حلى الدروع: تمثل الفهد الاسكيثي المعروف بفهد كليرميس (نسبة الى شمال القوقاز) ، وهو المكان الذي اكتشفت فيه هذه التحفة المصنوعة من ذهب مطروق ومرصع بالمينا والكهرمان. هذه الحلية انموذج قديم لفكرة الحيوان المتوحش ذي الخطوط المنحنية ، وهي الفكرة الأثيرة في فن الاستبس (في القرن السابع او السادس قبل الميلاد) . الوزن ٧٣٥ جراما ، والطول ٣٣ سم .

◀ كشف علماء الآثار في قبوربازيريك (سيبيريا) عن ملابس وستائر وسجاجيد جدارية محفوظة على اكمل وجه لأكثر من ٢٠٠٠ عام تحت الأرض المتجمدة .

وفي اعلى اليمين نقش لغطاء سرج من اللباد من بازيريك . ويرى الغطاء برمته في الصورة السفلية ويظهر رسمه باللباد الملون المزخرف

بلجبال ، شاه جبلية يهاجمها غرفين ، واهدابه مزينة بشعر جواد وفراء .

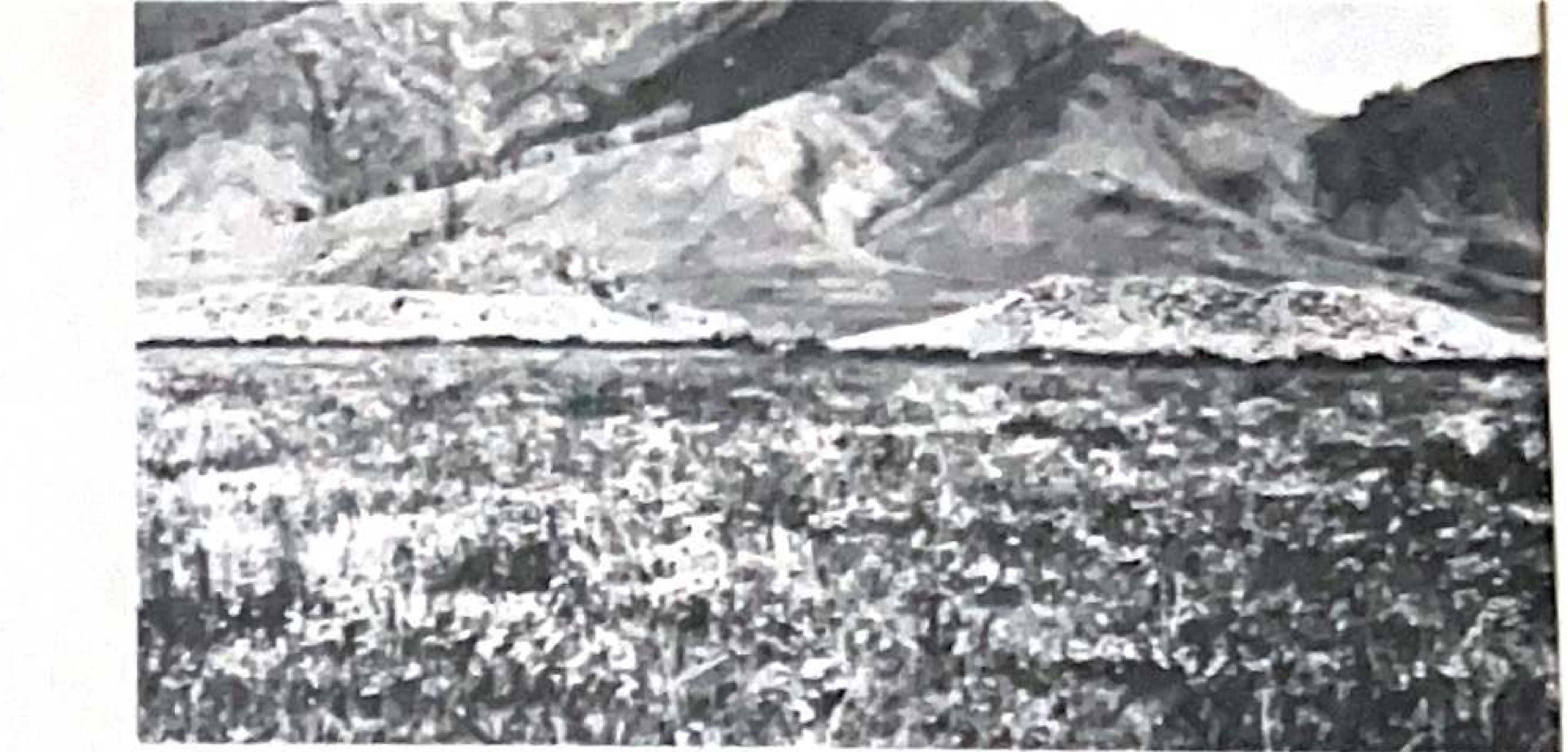
وكانت اغطية السرج توسد افخاذ الراكبين . وكثيرا ما كانت تزخرف باشكال حيوانات ذات الوان براقة ، او بمصارعات حيوانية .

عدسة من الأرض المتجمدة

▶ هذا الفهد الملتف حول نفسه وهو بلا شك حلية لدرع ، عمل بارع من اعمال الفن الاسكيثي السيبيري في القرن السابع او السادس قبل الميلاد (انظر ايضا الصورة الفوتوغرافية بصفحة ٤٠) . وتزن هذه التحفة المصنوعة من صفيحة من الذهب المصمت اكثر من ٢٢٠ جراما . وكانت الأقماع الصغيرة الوسطى مرصعة باحجار كريمة متعددة الألوان (من كنوز القيصر بطرس الأكبر) .

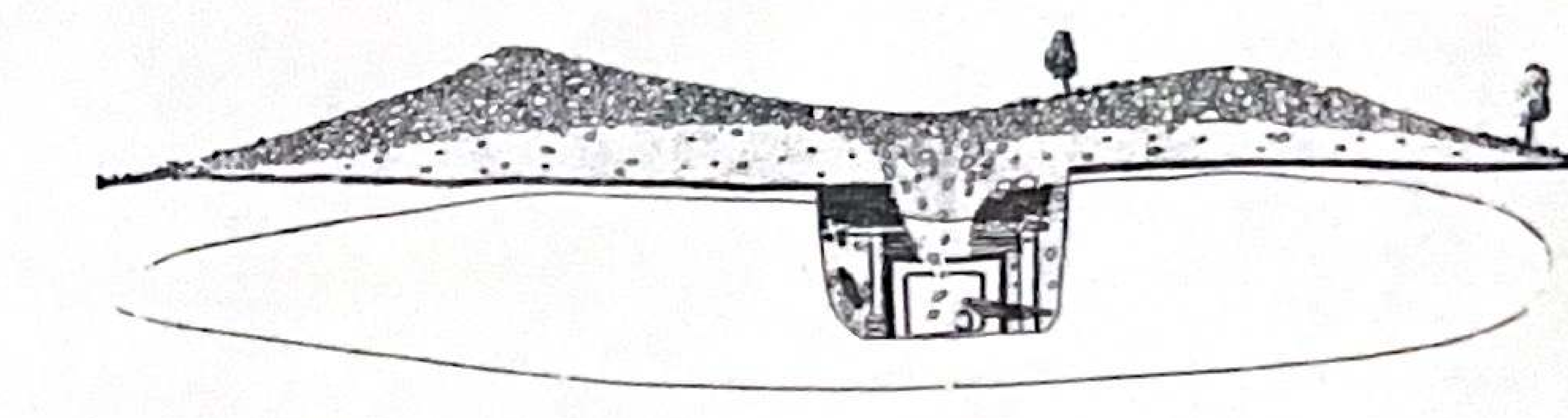


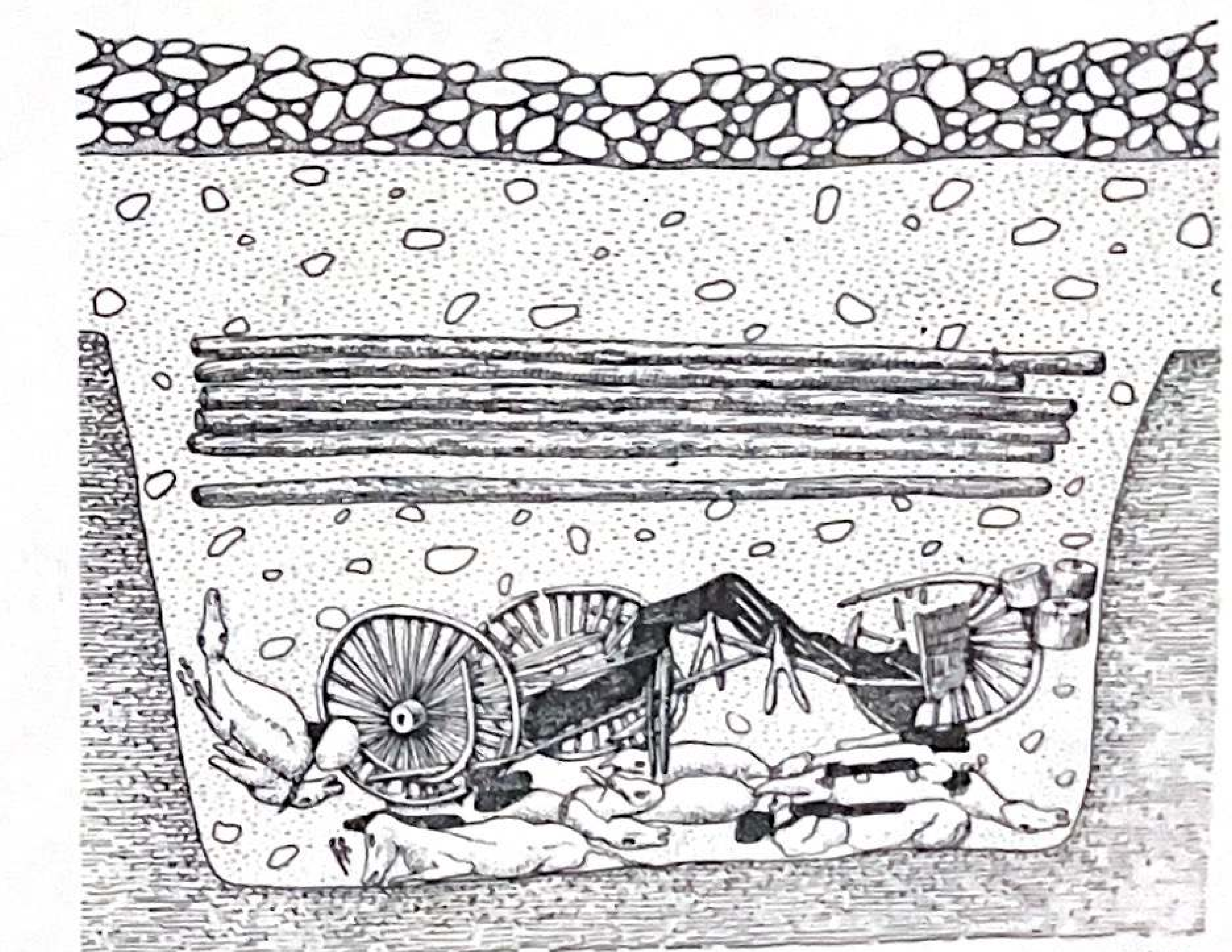
▶ هذا الشيء الغريب المصنوع من ذهب وكهرمان يجمع بين خطم الأسد ورؤوس الكباش على تركيب مخرم تخريما دقيقا ؛ وربما كان حلية تزين العرش (طوله ١٩ سم) ترجع الى القرن السابع او السادس قبل الميلاد .



كنوز أنقذها الصقيع

لقد عثر على مخازن غنية بالأشياء الهالكة طبيعيا ؛ التى تقدم معلومات لا تقدر بثمن ، عن بدو السهوب ، التى وجدت محمية تماما تقريبا فى القبور المتجمدة ، بصورة غير عادية فى جبال الطاى بسيبريا (فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد) . الى أسفل مقطع مستعرض لقبر الطاى بوادى بازيريك الجبل ، حيث قام علماء الآثار السوفييت بالتنقيب لأول مرة عام ١٩٢٩ . وتبدو حجرة الدفن المكونة جدرانها وسقفها من جذوع الشجر فى باطن حفرة على عمق خمسة امتار . وتشكلت القمة عند مستوى سطح الأرض بأعلى الحفرة الى رابية تعلوها ركامات من الجلاميد (انظر مقابر بازيريك فى الصورة العليا) . ان هواء الشتاء البارد الذى استقر بين الأحجار وانتهى الى قطاع من الأرض على شكل عدسة حول حجرة الدفن اصبح متجمدا الى الأبد . وكانت كل حجرة دفن بشرية فى بازيريك ينهبها اللصوص الذين حفروا وشقوا جذوع الشجر (لاحظ منطقة الصخور والتربة التى على شكل ٧ فى القطاع المستعرض) . وكانت المياه تتسرب من خلال الثغرة وتتجمد ؛ وتحمى طوال الزمن اجساد الرؤساء ونسائهم وجيادهم وممتلكاتهم من الفراء والقماش والجلد والخشب التى تركها الناهبون . ويبين الرسم فى الصورة السفلى مدفن جواد بازيريكى ، وهو يحتوى على زخارف وعجلات ، واطار لعربة ذات اربعة جياد .





اننا نعرف الآن . بفضل الحفائر ؛ كيف كان سكان الطاى القدماء يركبون جيادهم . وكان السرج نفسه يتكون من وسادتين ناعمتين من اللباد محشوتين بشعر غزال ؛ ويحكمهما حزام فى المقدمة وآخر من الجلد تحت الذيل ليمنعا الانزلاق الى الأمام او الخلف . وكانت الركابات غير معروفة حتى آنئذ . ولم تستخدم الا بعد الف عام أخرى . وكان اللجام يشكل بواسطة رباط على الخد ملتصق بالشكيمة بشريطين جانبيين ومهماز حلقى وشريط واحد للمخطمة .

ومن المحتمل ان بدو الطاى كانوا يعيشون فى خيام خفيفة الحمل او « يورتى » (وهى خيام من الجلد او اللباد) ، فى عربات مغطاة عندما كانوا يتنقلون – اذا كانت المهارة التى شيدوا بها حجرات مدافنهم تعتبر دليلا – فى بيوت جذوع الشجر . واستخدموا أوانى من الخزف وكذلك اكياسا ودوارق من الجلد .

وتتكون ملابسهم من تنانير منسوجة من وبر الكندير او القنب ؛ وقفاطين من فراء او لباد ، وسراويل قصيرة مصنوعة من جلد ناعم مرن . ويضعون على اقدامهم جوارب من اللباد واحذية عالية من الجلد ذات نعال رقيقة . وكان يكمل هذا الزى غطاء للرأس على شكل قلنسوة طويلة ذات حاشيتين على الأذنين ، وحزام من الجلد مثبت بابزيم من الفضة . واشتملت ملابس النساء على سترات من الحرير السنجابى مبطنة بالفراء ؛ ذات أكمام ضيقة مزخرفة ، واحذية قصيرة مبطنة بالفراء ، ونعالها رقيقة ايضا .

وكان البدو يذهبون الى الحرب بفؤوس من البرونز وخناجر واقواس وسهام من الحديد ، ويحتمون بدروع من القضبان المبرية فى ثنيات من الجلد الرقيق .

عاش سكان الطاى القدماء معا فى عشائر او قبائل ، مع طبقات متميزة من شيوخ القبائل والنبلاء اصحاب الملكية ، اما شيخ الجماعة الذى كان يتحمل المسئولية المزدوجة كمرب للماشية ومحارب فكان يقوم بدور قيادى فى وحدة العائلة ، وان كانت الأم الرئيسة تحتفظ ايضا بتقدير رفيع . وبرزت المحظيات بين طبقة النساء ، ولكن من المحتمل ان ذلك كان فقط فى المستويات العليا من ذوى الملكية فى المجتمع ، حيث كان العرف يتطلب ان تشنق المحبوبة بعد وفاة مولاها وسيدها ؛ ولذلك كان يجب ان تتبعه الى ما بعد القبر .

ومع ان شعب الطاى العليا قد عاش فى اماكن بعيدة عن مراكز الحضارة القديمة فان كثيرا من الأشياء التى وجدت فى روابى قبورهم تكشف عن شبكة واسعة من التجارة والعلاقات مع الشعوب الاخرى التى حصلوا منها على سلع نفيسة : السجاجيد ، والمنسوجات ذات الغزل الأنيق والحلى ؛ وجياد الركوب الجيدة السلالة من أواسط آسيا والتى تفضل على كل ماعداها .

ومن المرجح ان يكون اهل الطاى قدموا الماشية والجياد من قطعانهم الخاصة ، وكذلك الفراء والذهب والفضة ؛ فى مقابل هذه السلع

البقية ص ٢٦

صور رمزية خرافية عن الحيوانات

وجد فى مقابر بازيريك كثير من الأقمشة الأنيقة النفيسة الصنع ؛ بعضها مستورد من ايران والصين . ولا تزال الوانها محتفظة برونقها . وكانت الأقمشة الملونة والمعلقات الجدارية من اللباد التى تزين خيام فرسان السهوب مصبوغة بالوان حية ، حمراء وزرقاء وصفراء وخضراء ، وهى مغطاة فى الغالب برسوم متقنة تصور رجالا ومخلوقات حقيقية او اسطورية : مخلوق متبختر معنج مشعب القرن ، نصفه اسد ونصفه انسان ، يزين هذا الجزء من المعلق الجدارى اللبادى من بازيريك (١) . وكانت الجياد قد زينت بملابسها الفخمة قبل دفنها مع سادتها ؛ وكانت اغطية السرج اللبادى قد زخرفت فى سخاء بالحلى ، وهى تصور فى الأغلب مناظر مليئة بالحيوية لعراك الحيوانات (انظر ايضا الصور الملونة ص ٣٠) . وتبين الصور السفلية اربعة حوافز حيوانية تزين اغطية سرج بازيريكى ٤ وكانت الصور القلية كلها مقطوعة من الجلد ، وبعضها ملون ومغطى بورقة ذهبية او فضية : (٢) اسد ذو راس ضخم وفكين مفتوحين بهما انياب .

(٣) نسر – غرفين ينقر بشراسة عنق اسد – غرفين ؛ (٤) غرفين يستحوذ بمخالبه على ايل ضخم (٥) كبش جبل مع نمر يمزق حلقه ، انطوى على ساقيه الأماميتين وقد التوت عجيزته (انظر ايضا صفحتى ٣٤ و٣٥) . منثور على جسمه علامات الوقف والشولات وانصاف حدوات الحصان ؛ وهى طريقة فنية يستخدمها فنانو الطاى للاشارة الى العضلات والأضلاع الأساسية .

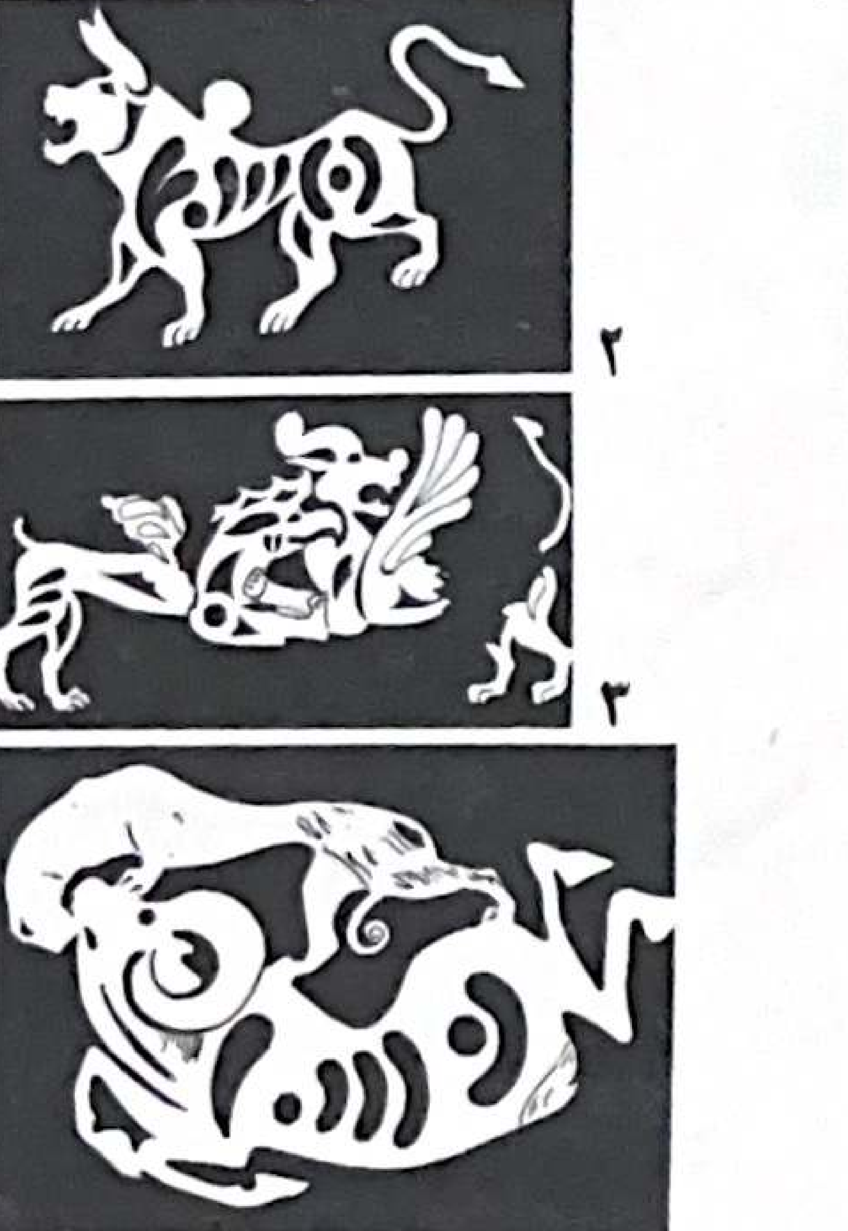
تصوير : ١٠ بولجاكوف الناشر «آرت اوروورا ، ليننجراد »

الرسوم : من قبور سيبريا المتجمدة ، بريشة سيرجى ١٠ رودنكو

ج٠م٠ دنت وأبناؤه ٠ لندن ١٩٧٠



١



٢

٣

٥



٤

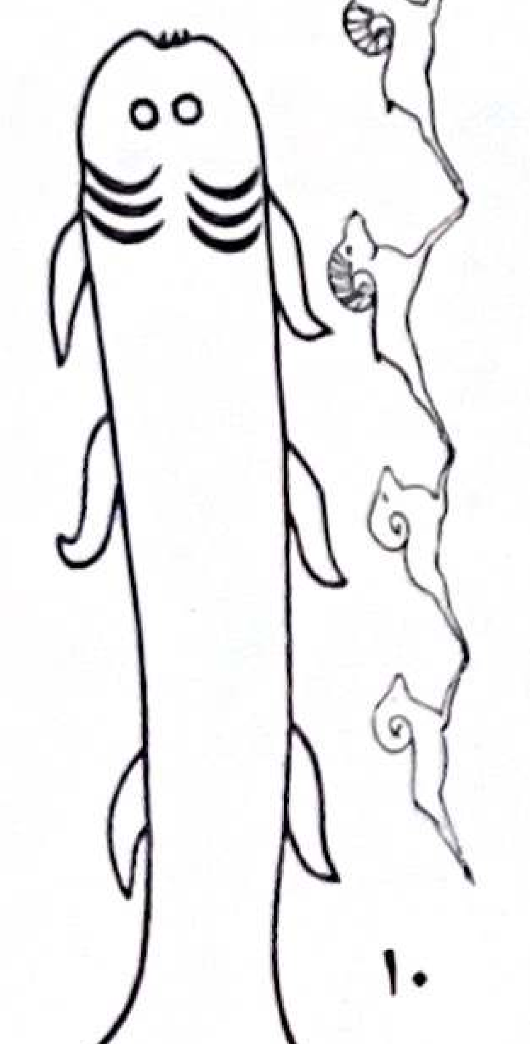
الوشم برسوم الحيوانات الخرافية التى تتلوى على جسم رجل من بازيريك



من أروع الاكتشافات التى جرت فى بازيريك، بل من أشدها اثارة للحيرة ، اكتشاف جثة محنطة لأحد زعماء القبائل ؛ فى حوالى الستين من العمر . جسمه مغطى برسوم نقشت بطريقة الوشم قبل وفاته بزمن ما . وثمة عدد كبير من الحيوانات الحقيقية او الخيالية ، جاثمة او منقضة على فرائسها ، او راكضة ، او تدق الأرض بحوافرها ، او هاربة ؛ تتزاحم فى هرج ومرج على ذراعى الزعيم وجزء من احدى ساقيه وصدره وظهره . وقد نقشت هذه الرسوم بوخز الجلد وملء الثقوب بالسناج (سواد الدخان) ، وساعدت البرودة على حفظها . ونعرض على هاتين الصفحتين رسوما تصور تسعة مخلوقات تتوالب على جسم الرجل الموشوم ؛ وكذا صورة فوتوغرافية (٤) مكبرة لجزء من الوشوم على الذراع الأيمن للزعيم فتميز فى الصورة ايلا له منقار نسر ، وقرون الأيل ذات الشعب الطويلة مختلطة برؤوس طائر . وتشير الأرقام المثبتة على الرسم رقم ١١ الى موضع بعض هذه الحيوانات على جسم الزعيم منظورا من ناحية الوجه . فمن الثدى الأيسر الى الكتف يبدو وحش خرافى ينتهى ذيله الملفوف براس طائر او ثعبان (١) . وثمة سمكة (١٠) وبعض الأرويات (نوع من الغنم) تمتد من الركبة حتى العرقوب . ويجرى مركب خيال غريب على ذراعه اليمنى من اليد حتى الكتف ، يضم احقب (حمار الوحش) (٥) ، ومخا مجنحا له جسم السنور (٦) . ووحشا مفترسا بانيابه (٩) وكبشا (٧) . ونلاحظ الالتواء العجيب فى عجز الكبش ، وكذا التواء الحيوان الخرافى (٣) فى الجزء الخلفى من الذراع اليمنى . وبهذا الشكل كان فنانو «الطاى» يصورون الحيوانات التى تنقض عليها حيوانات اقوى منها . ومن بين رسوم الذراع اليسرى ، نتعرف على حيوان اطرافه الأمامية مطوية ، ولعله اروى (٢) ؛ وكذا دابة خرافية تجمع بين سمات الأيل والنسر والسنور (٨) ، ترى ما معنى هذه الوشوم ؟ لقد كتب العالم الأثرى السوفيتى سيرجيى أ . رودنكو الذى باشر اعمال التنقيب فى كورجانات بازيريك المتجمدة فى كتاب بعنوان « مقابر سيبريا المتجمدة » ان هذه الوشوم « ربما تدل على اصل نبيل ، او انها من سمات الشجاعة ، او ربما تدل على الصفتين معا ؛ اما بخصوص المسوخ الدوامة فانها « تحمل دون شك دلالة سحرية لا نفهمها الى الآن » . ولم تزل وشوم هذا الزعيم بالنسبة لنا لغزا غامضا .



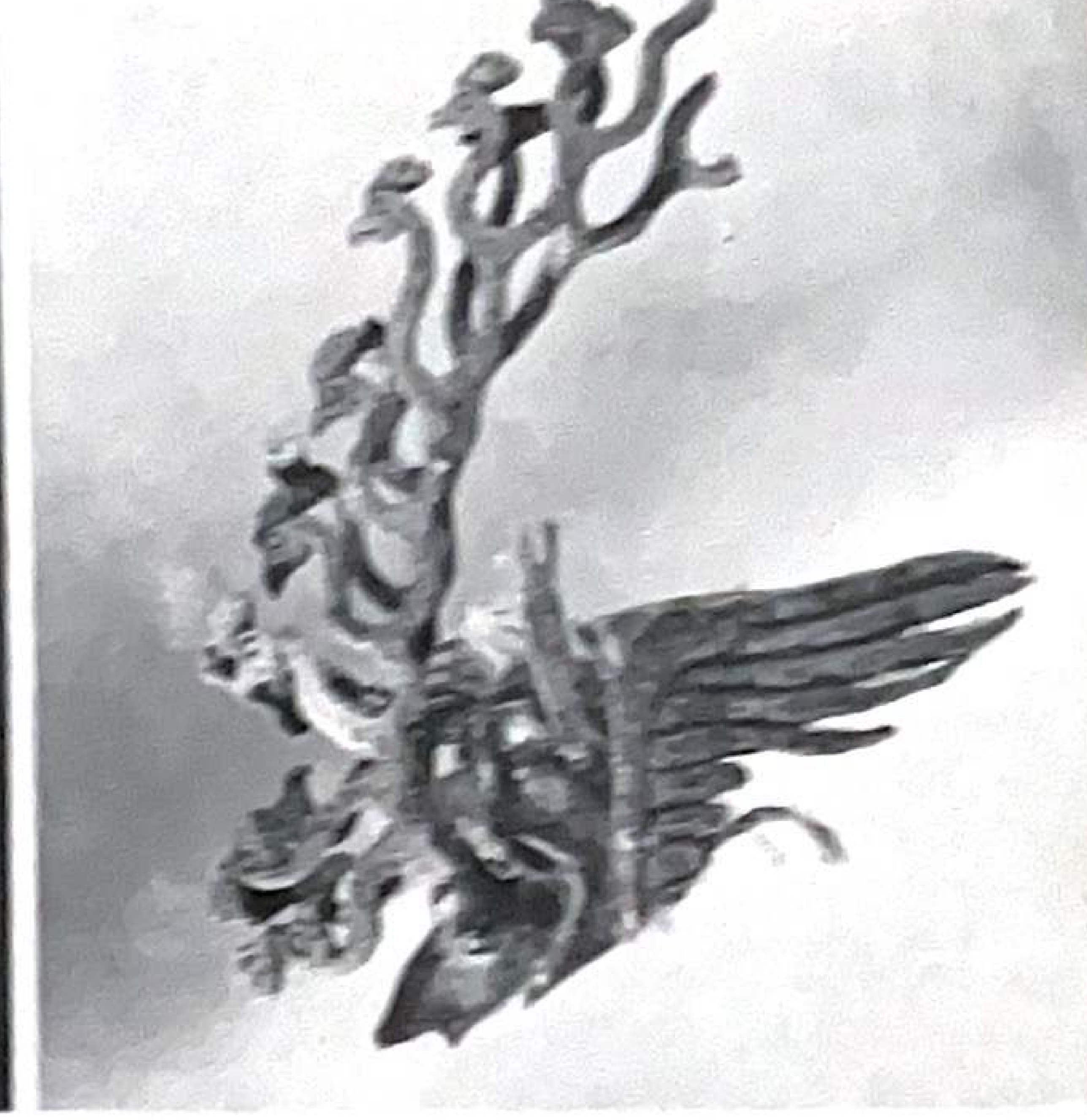
٨





١٠





(بقية ص [illegible])

السجاجيد الوبرية والثياب الصوفية ذات الطراز المميز – من ايران ؛ التى وجدت طريقها عبر وسط آسيا الى الطاى التى حصل سكانها ايضا من جيرانهم الشرقيين على الأقمشة الحريرية المزركشة التى لا شك انها كانت تعتبر بالغة الفخامة حتى فى الصين .

وبين جميع الكنوز الهامة التى اكتشفت وترجع الى بازيريك سجادة وبرية متعددة الألوان ذات قطعة فنية خاصة ؛ يصور سطحها المربع تقريبا (نحو مترين فى الطول والعرض) جيادا وراكبين – وأيلا يرعى ؛ وعربات ؛ ووحدات نباتية ذات أسلوب معين . وتعد هذه السجادة الأقدم من نوعها فى العالم اعلانا للبراعة الحرفية للنساجين الايرانيين .

وأدت علاقات بدو الطاى العليا الوثيقة بجيرانهم الى زيجات مشتركة ؛ وبالرغم من ان السمات البدنية للرجال والنساء المنغولية الاوربية الى حد بعيد . فان الآثار البدنية الأوربية والنحولة يمكن ايضا ان تستبان . ولعل الطاى يتحولون الاسكيثيين من حيث يفترض انهم كانوا يتكلمون لهجات مختلفة من النمط الايرانى .

ويصور فن قبائل الطاى العليا القديمة الى الدهشة من حيث كثرته وتنوعه الفريد . وهو بشكل تصبحا مماثلا للفكرة ذات الجانب الوحيد . حتى ان الفن الاسكيثى كان مجرد انتاج من صنع الاساك ومخلفة من معدن او عظم او صلصال .

وتتبع ملامح الطاى فى اختيارهم العصور ما يسمى « الطراز الحيوانى » للفن الاسكوثى . وتتبع الصفة البارزة للكثير من الشبابهم البوهيمية التى يوجد فى البروج ؛ وكلابسهم بزخارف خيولهم . الى الابداع الفنى الذى كان يميز البدو الى درجة غير عادية ؛ وانهم قضوا كل حياتهم محوطين بأشياء تتسم بالجمال .

لقد كان الفن فى الواقع فى دماء هؤلاء الناس . وكانت صور الحيوانات والطيور ؛ سواء برية أو مستأنسة حقيقية أو خيالية مما يرد فى زخارفهم ؛ أكثر من كونها زخارف ملونة براقة . لقد اظهرت روح هؤلاء الناس ؛ ومعتقداتهم والطريقة التى كانوا ينظرون بها الى الأشياء .

واستوعب سكان الطاى القدامى فى اسفارهم البعيدة ما كان فى فن جيرانهم ؛ ثم اضافوا لونهم المحلى الخاص فى تصميماتهم . ووجدوا مكانا فى ابداعاتهم الفنية للجرافين وأبى الهول المقتبسة من آسيا الغربية . والسلاسل من أزهار اللوتس ؛ وأشجار النخيل الزخرفية . والتصميمات الهندسية التى كانت أصولها فى دول الشرق الأدنى وفى مصر .

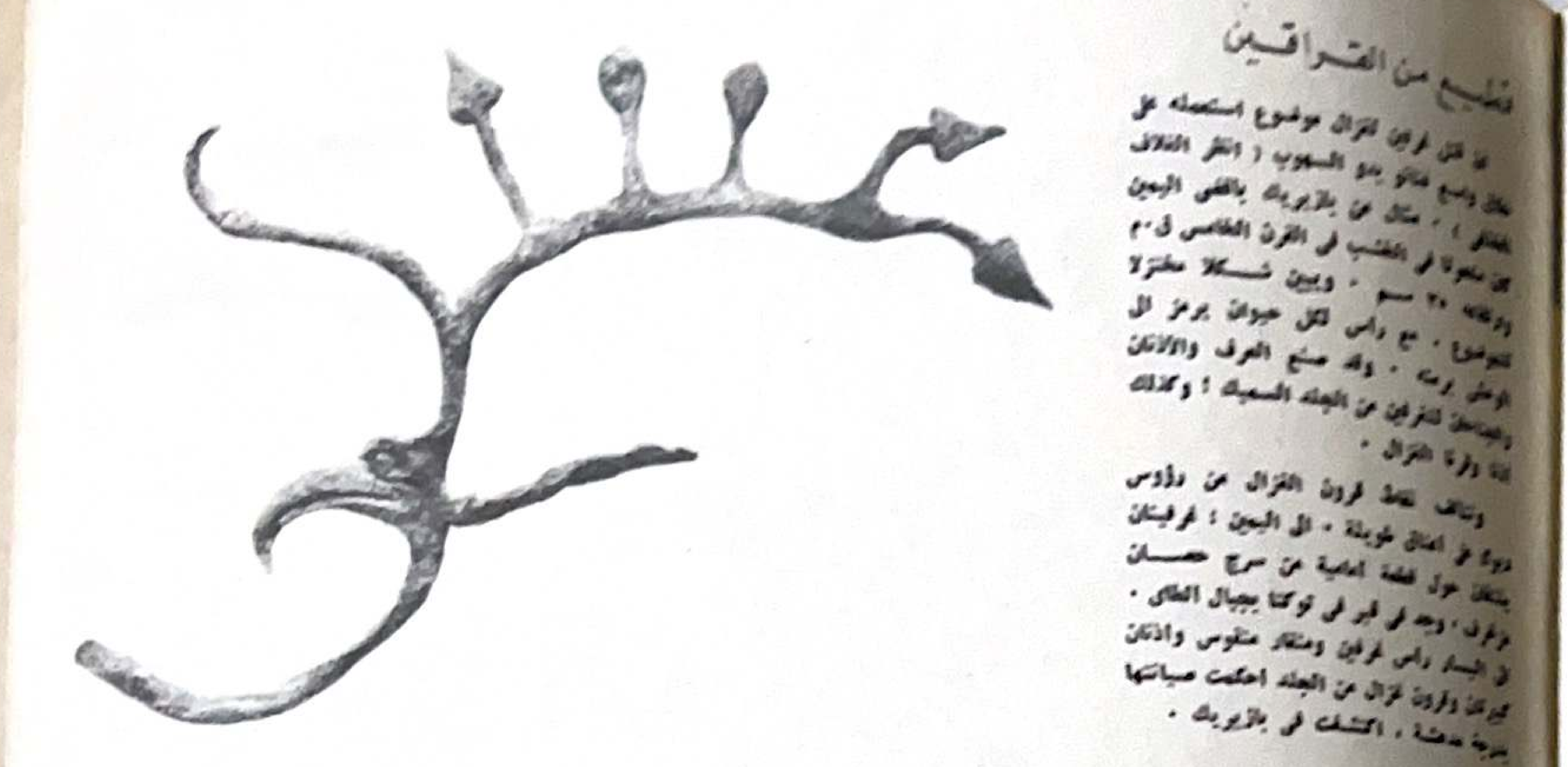
ويحتمل أن تكون ثروة شعب الطاى العليا قد جاءتها وفرة المواد التى فى متناول اليد . والنعم والخرزون الثرابة بورود من اللباد الممتاز . وصاغوا نوعا رفيعا من الجلود والفراء ؛ والنحت فى غاباتهم خشب الأرز والصنوبر الذى يمكن أن يصنع فيه أرق النقوش . فى حين ان عالم النبات وضع تحت تصرفهم نباتات النيلة والصبغة الحمراء . والأرض تحت اقدامهم امدتهم بالمغرة واكسيد الحديد ؛ وكبريتيد الزئبق كأصباغ معدنية . وكذلك بكميات لا حدود لها من الذهب والفضة والمعادن الأخرى التى استخدموها على نطاق واسع فى الأغراض الزخرفية .

كان جواد الركوب – كما رأينا – موضوع اهتمامات بالغة . ولما كان فى الواقع يزين بزخارف شعائرية فلا شك أنه كان منظرا غريبا . كان رأسه يطوق بقناع من الجلد المزخرف ؛ وكان فى لجامه قطع جانبية من الخشب المنقوش . ملصقة برقائق ذهبية . وكانت وسائد السرج اللبادية والشابراك (أى غطاء السرج) مزركشة « بأبليكات » متعددة الألوان ؛ فى حين كانت الأغطية الجلدية والقرابات مدرزة فى شعر عنق وذيل الحصان .

كانت ملابس وأحذية شعب الطاى مزخرفة برقع صغيرة من اللباد الملون والفراء والجلد . ومزركشة بشرائح من الصوف أو الخيوط الوترية المحاطة بقطع طويلة من الأوراق الذهبية المرسومة بالأبليكات نحتا ملونة رائعة ؛ تزين جدران وأرضيات بيوتهم المتحركة . بل كانت أرجل مناضدهم الخشبية الواطئة القابلة للطى منقوشة على شكل النمور .

وتبرز الألوان كذلك فى الحقائب المصنوعة من الجلد والفراء التى كانوا يخزنون فيها الجبن وغيره ؛ وفى أكياسهم التى تحتوى على بذور القنب الهندى . وبذور الكزبرة المستوردة. وكانت قصبات سهامهم وتروسهم مرسومة كذلك . ويمكن للمرء أن يسأل هل كان لدى شعب الطاى شئ فريد لم تلمسه يد فنان ؟

وكان من صورهم المفضلة الوحوش المفترسة (النمور والذئاب) وغيرها من الحيوانات البرية (الظبى الضخم ؛ والغزال ، والماعز ؛ والخراف الجبلية) التى تظهر صورها الرشيقة بتلك الألفة المطبقة لشعب الطاى بعاداتها وحركاتها . ولكن لا تقل عن ذلك اثارة تلك المخلوقات المستمدة من عناصر الحيوانات والطيور الحية : الغرافين والنمور المجنحة التى استجاب لها شعب الألطاى بدرجة أكثر تكرارا من الأسقوثيين .



تطبيع من القراقين

يعد قرنى الغزال موضوع استعمله على نطاق واسع فنانو بدو السهوب (انظر الغلاف الخلفى) . مثال من بازيريك بالطاى اليمين كان منحوتا فى الخشب فى القرن الخامس ق·م وارتفاعه ٣٠ سم . ويبين شكلا مختزلا للموضوع . مع رأس لكل حيوان يرمز الى الوعل برمته . ولقد صنع العرف والآذان والهامش للقرنين من الجلد السميك ؛ وكذلك اذنا ولزة الغزال .

وتتألف نماذج قرون الغزال من رؤوس دوارة فى اعناق طويلة . الى اليمين ؛ غرفيتان يلتفان حول قطعة امامية من سرج حصان مزخرف . وجد فى قبر فى توكتا بجبال الطاى . الى اليسار رأس غرفين ومنقار منقوس واذنان كبيرتان وقرون غزال من الجلد احكمت صياغتها بدرجة مدهشة . اكتشف فى بازيريك .

وبقيت المهارات التى طبقها فنانو الألطاى بطرق ابداعية كثيرة جدا على قيد الحياة حتى اليوم ؛ وتناقلتها الأجيال المتعاقبة . من المنبع الى المصب . لكن كان فى الحقيقة رائجا ؛ ولم يكن هذا سرا محصورا فى صدور قليل من السادة .

كان فنان الطاى متفوقا على الدوام فى التشكيل ؛ وكان النحت فى الخشب والعظم يتم فى سهولة وبراعة فنية فائقة . وكانوا يلائمون موضوعاتهم مع شكل الشئ الذى يزخرفونه ؛ فيطيلون أو يقصرون جسم الحيوان . ويضخمون رأسه . ويثنون أقدامها الأمامية والخلفية الى محيات . وقد مر نحاتو الطاى دون مبالاة من أسلوب فنى الى آخر . ومن نحت قليل العمق الى رسوم دقيقة ؛ ثم الى نحت من جميع الجهات .

وهناك ميزة بارزة فى فن الطاى وهى الطريقة التى تنفذ بها قطعة عمل وحيدة تتضمن كل هذه التقنيات فى النحت . وكذلك استعمال مواد مختلفة ؛ ويمكن فى وقت واحد رسم شئ ما بألوان براقة ملصقة بأشرطة من الذهب أوالورق النقى أو الفضة .

ويظهر هذا التعقيد بوضوح فى الصرف الخشبى المنحوت الذى يمثل غرفينا يمسك برأس غزال فى منقاره (انظر الغلاف الخلفى) والأشكال المصنوعة من المواد الناعمة مثل الجلد واللباد ممثلة بوضوح بواسطة الأرز العراقى ؛ ومكونة من قطع اللباد الملون التى يمكن أن تكون قد زينت بها مظلة عربة دفن (انظر ص ٤٧) .

ويحتوى فن الطاى فى الغالب على مناظر لوحوش مفترسة وغرافين تهاجم غزالا . وأيلا وكباشا جبلية وماعزا . ومن المحتمل أن تعكس هذه الصور عهدا كانت فيه القبائل الرعوية فى حالة حرب بعضها مع البعض . وقد أنتج عصر الرجال المسلحين سلالاته من الأبطال الذين يبدو أن قصص الشرف الملحمية والأغانى قد تألفت فيها . ولذلك فليس هناك مايدعو للدهشة أن تحتوى حجرات الدفن ايضا على آلات موسيقية فى شكل قيثارات متعددة الأوتار ؛ وطبول .

لقد كشف التنقيب بالحفر فى قبور الطاى العليا المتجمدة عن الثقافة البدوية القديمة الأصيلة لبدو الطاى التى لاشك كان لها تأثير كبير فى فن الأسقوثيين ككل . وقد وجدت الآن آثار سادة الطاى فى مثواهم الأخير بين الكنوز المجموعة من الفن العالمى .



آيل بغير قرون

رؤوس ايائل خشبية (ارتفاع كل منها أقل من ١٠ سم) من بازيريك ، وقد استخدمت كزخرفة لسرج . وقد هلكت قرونها . اشكال الأيل بارزة فى فن البدو الشماليين .

خيول للحياة الآخرة

بقلم: ميخائيل ب. جرابازنوف



ان ذلك الامتداد الشاسع لمناطق الاستبس من نهر الدانوب الى سور الصين العظيم ، قد شكل على مدى عدة قرون اقليما حضاريا ـ تاريخيا فريدا شاسع الأطراف . وكانت القبائل العديدة القاطنة لهذا الاقليم التى عاشت فى اتصال مستمر بعضها مع بعض مختلفة فى ماضيها التاريخى فضلا عن اختلافها فى تراثها العنصرى ، ولكنها خلقت لنفسها حضارة كانت متشابهة فى معالمها بوجه عام .

وقد نجم هذا التشابه العريض من أن الحضارة قد تشكلت خلال سلسلة من مراحل تطويرية متماثلة . تكشفت فى آن واحد عبر حزام الاستبس باكمله . ولقد بدأت هذه العملية فى العصر الاينيوليتى فترة الانتقال من العصر الحجرى الى عصر المعادن . وقد اتفق هذا الانتقال فى استبس أوراسيا مع ذلك الانتقال من نظام الاقتصاد المستغل (القنص وصيد السمك وجمع الطعام) الى الاقتصاد الانتاجى الذى تركز فى هذه الحالة فى تربية الماشية .

ولقد صار التشابه فى التطور التاريخى لكافة قبائل الاستبس واضحا بصورة خاصة فى زمن «الاسقوثيين» ، عندما تحول سكان الاستبس الى أسلوب الحياة الرعوية وصاروا أكثر تحركا وتطورا بدرجة عالية تبعا لظروف التبادل الحضارى الواسع بين القبائل .

والملاحظ فى السنوات الحديثة أن عبارات مثل « نمط الحضارات الاسقوثية ـ السيبيرية » وكذلك « نمط الحيوان الاسقوثى السيبيرى » قد بدأ استخدامها يتزايد بصورة متكررة ، ومع ذلك فان دراسة الجانب الآسيوى من عالم الحضارة « الاسقوثية السيبيرية » مازالت دراسة ضئيلة جدا . ويميل المتخصصون فى التاريخ «الاسقوثى» الى تركيز اهتمامهم على آثار منطقة شمال البحر الأسود ومشاكل أصل تلك القبائل التى يمكن أن تسمى بحق القبائل « الاسقوثية ويتركز النقاش حول موضوع أصل « الاسقوثيين » ومكونات نمط الحيوان الاسقوثى .

وحتى وقت قريب كان الافتراض الوحيد الذى لم يكن مثار نقاش فى هذه المجادلات هو ان الحضارة الاسقوثية والفن الاسقوثى ظهرا الى حيز الوجود فى القرن السابع قبل الميلاد ، وأن معارف الحضارة الاسقوثية بمصادرها التى يرجح ان تكون مصادر آسيوية قديمة ، انتشرت انتشارا بطيئا شرقا فى صور معدلة نوعا ما .

ومع ذلك فصحيح أيضا القول بأن العلماء ظلوا يدرسون طويلا بعض الآثار الفريدة لحضارة بدو سيبريا الأول ؛ وعينات رائعة من فنهم الأصيل ، ومن بينها مجموعة بطرس الأول الذهبية المذهلة ، وكورجانات (جبانات) بازيريك فى الطاى (انظر ص ٣١) والمصنوعات البرونزية والحظائر الضخمة ، والكورجانات (الجبانات) التى تمثل حضارة تاجار الواقعة على نهر ينيسى .

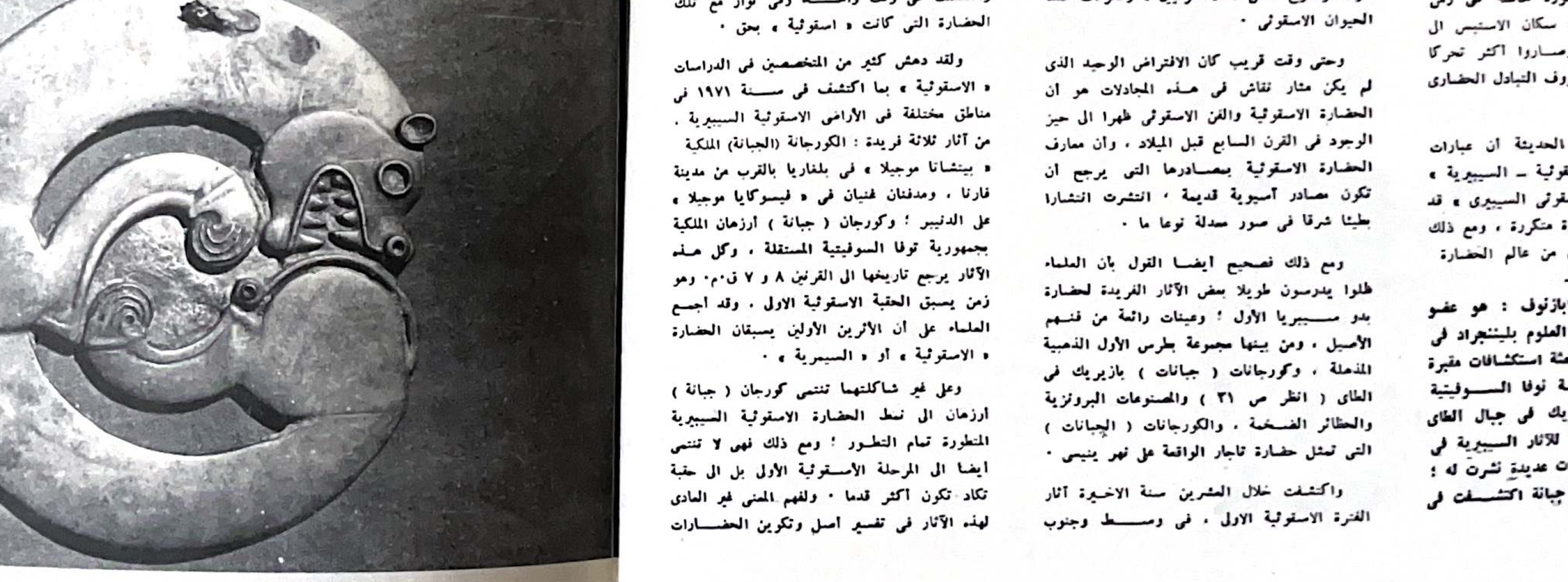
واكتشفت خلال العشرين سنة الاخيرة آثار الفترة الاسقوثية الاول ، فى وسط وجنوب كازاخستان ، كما اكتشف وجودها ايضا فى سفوح التلال الغربية لألطاى وفى «توفا» . ولقد صار واضحا أن الحضارات ذات الطابع الاسقوثى كان لها وجودها فى الشرق الذى لم يكن احدث عهدا من وجودها فى لتو اسقوثيا . لقد ظهرت وانتعشت فى وقت واحد وفى تواز مع تلك الحضارة التى كانت « اسقوثية » بحق .

ولقد دهش كثير من المتخصصين فى الدراسات « الاسقوثية » بما اكتشف فى سنة ١٩٧١ فى مناطق مختلفة فى الأراضى الاسقوثية السيبيرية . من آثار ثلاثة فريدة : الكورجانة (الجبانة) الملكية « بينشانا موجيلا » فى بلغاريا بالقرب من مدينة فارنا ، ومدفنان لمنيان فى « فيسوكايا موجيلا » على الدنيبر ؛ وكورجان (جبانة) أرزهان الملكية بجمهورية توفا السوفيتية المستقلة ، وكل هذه الآثار يرجع تاريخها الى القرنين ٨ و ٧ ق.م. وهو زمن يسبق الحقبة الاسقوثية الاول . وقد اجمع العلماء على أن الأثرين الأولين يسبقان الحضارة « الاسقوثية » أو « السيمرية » .

وعلى غير شاكلتهما تنتمى كورجان (جبانة) أرزهان الى نمط الحضارة الاسقوثية السيبيرية المتطورة تمام التطور ؛ ومع ذلك فهى لا تنتمى ايضا الى المرحلة الأسقوثية الأولى بل الى حقبة تكاد تكون أكثر قدما . ولفهم المعنى غير العادى لهذه الآثار فى تفسير أصل وتكوين الحضارات

ميخائيل بتروفيتش جرابازنوف : هو عضو معهد الآثار التابع لاكاديمية العلوم بلينتجراد فى الاتحاد السوفيتى . ترأس بعثة استكشافات مقبرة ارزهان الركبة (بجمهورية توفا السوفيتية المستقلة) ومقابر بازيريك فى جبال الطاى (سيبريا) . عمل استاذا للآثار السيبرية فى جامعة لينتجراد . الف مؤلفات عديدة نشرت له ؛ من بينها دراسة عن اول جبانة اكتشفت فى بازيريك .





كان زعماء البدو يدفنون مع خيولهم غالبا ، وفى بعض الحالات مع عشرات منها ، كما فى المقبرة الضخمة التى ترجع الى القرنين ٨/٧ ق.م ، التى عثر عليها فى ارزهان فى جبال سايان (بجمهورية توفا السوفيتية المستقلة) . على الصفحة المقابلة بقايا لمبنى ارزهان الخشبى الدائرى الضخم الذى يبلغ قطره ١٢٠ مترا ؛ والى اليسار تخطيط لأرزهان يوضح شبكة غرفها على هيئة قرص العسل . وتوضح الأشكال الدقيقة للخيول مكان دفن الخيول ، وكان يدفن منها فى كل غرفة مايصل الى ٣٠ ، وفى الغرفة الرئيسية كان يدفن زعيم القبيلة البدوية وملكته فى مراسم مهيبة ، وكانت تقطع ما لا يقل عن ٦٫٠٠٠ شجرة لبناء المقبرة ؛ ومن المعتقد ان اكثر من ١٠٫٠٠٠ شخص كانوا يحضرون حفل الدفن . الى اسفل « بروش » من البرونز يمثل حيوانا مفترسا ملتفا ، من صنع فنان بدوى ، وقد عثر عليه فى ارزهان وهو يمثل واحدا من اضخم هذه « البروشات » التى عثر عليها فقط .

تصوير : ل. تراسوفا ، اوروررا آرت للنشر لينتجراد) .

ذات النمط الأسقوثى السيبيرى ، يتطلب منا الأمر ان نلقى نظرة على كورجان (جبانة) ارزهان مع مزيد من التفصيل نوعا ما .

وارزهان مقبرة حجرية فسيحة ؛ أضخم مقبرة فى جبال « سايان » ، قطرها ١٢٠ مترا ، وتحت ربوتها الحجرية بناء خشبى فريد ذو أبعاد ضخمة ومازال باقيا فى حالة رائعة . وهناك هيكل خشبى مربع ضخم ، تربى مساحته على ٦٥ مترا مربعا قد شيد مباشرة على الأرضية ، وقد صف حوله سبعون هيكلا مماثلا ؛ فى خطوط نصف قطرية وفى دوائر ، وهذه جميعها تشكل مصطبة خشبية مستديرة يبلغ ارتفاعها قرابة ثلاثة أمتار ، وقد غطيت بسقف .

وقد استمر التنقيب عن الكارجانات (الجبانات) تحت اشرافى على مدى أربع سنوات ؛ وبالرغم من ان الآثار كانت قد نبشت وسلبت أكثر من مرة حتى فى الأزمنة الغارقة فى القدم ، الا اننا اكتشفنا أشياء عديدة ، وكان فى استطاعتنا ان نعيد رسم صورة مفصلة تمام التفصيل لحفل الدفن الملكى الفخم .

اذ تجمع آلاف من الناس عند مكان الدفن فى شهر سبتمبر ؛ وفى مدى سبعة أيام أو ثمانية ايام قطعوا أكثر من ٦٫٠٠٠ جذع شجرة استخدموها فى بناء الهيكل الضخم المتعدد الغرفات . لقد احتوت الغرفة الرئيسية على فرشة للحيوانات ملساء صنعت من عرف الخيول وذيولها ، كما احتوت على هيكل صغير جدرانه وسقفه مزدوجة وضع فيه جسدا الملك وملكته فى تابوتين مستقلين صنعا من كتل خشبية مفرغة ، وكانا يرتديان أغلى الملابس المصنوعة من المصنوعات المستوردة المتعددة الألوان ؛ ومن الفراء الغالى (السمور وغيره) .

وقد نهبت المقبرة . والواقع انه لم يبق منها شىء له قدره ، مما لا شك أنه كان يمثل

قدرا كبيرا من الحلى الثمين ، ولم يتبق الا «بروش» ذهبى صغير وقطع صحائف ذهبية وبعض حبات من الفيروز وعقد من الخرز وعشرون قرصا صغيرا من الفيروز من المحتمل أن تكون قد رصعت بها «بروشات» ذهبية ضخمة فى صورة حيوانات · هذه البروشات قام لصوص المقابر بسرقتها ·

وعلى ثلاثة جوانب حول الهيكل الملكى وضعت ثمانى كتل خشبية مفرغة دفنت فيها شخصيات هامة كانت فى صحبة الملك · وكلهم فيما عدا واحدا كانوا مسنين أو طاعنين فى السن ، وكانوا جميعهم يرتدون اما فراء ثمينا أو أردية صوفية ، بيد أنه ببعض الكتل الخشبية وجدت أشياء محفوظة ؛ وقد تضمنت هذه حليا من الذهب والفيروز ، كما تضمنت سهاما من البرونز وخنجرا وبضعة أشياء أخرى ، ودفنت فى الغرف المجاورة خمس شخصيات أخرى مماثلة ·

وعلى الجانب الرابع من الهيكل الملكى تكدست ست سرج للخيول ؛ لم يتبق من أطقمها العالية الفاخرة الا قلة من حلى اللجام وأطواق السرج ، بعضها من الذهب والفضة ، وبعضها صنع من أحجار ملونة أو من سن الحلوف ، وواضح أن هذه الخيول كانت من ممتلكات الملك الخاصة ·

ولابد أن يفترض المرء أن مجموعات من وفود عديدة من البدو من كافة القبائل ممن هم من رعايا الملك ؛ أو ممن كانوا يقطنون مناطق الاستبس الجبلية المعروفة لنا اليوم باسم «توفا» قد تجمعت لحضور الدفن · وقد قدموا ومعهم هدايا تلائم المناسبة ؛ ففى سبع غرفات تقع الى الشرق من الغرفة الرئيسية دفن ١٣٨ جوادا و٣٠ سرجا للخيول فى كل غرفة من غرفات ثلاث ودفن ١٥ جوادا فى كل غرفة من غرفات ثلاث أخرى · كما دفن ثلاثة خيول فى الغرفة السابعة ·

والخيول فى كل غرفة وردت جميعها من فصيلة واحدة ، ودفنت كل الخيول بأطواقها وسرجها وكانت جميعها طلائق كبيرة · وهناك قلة من حلى الأطقم ولكن هناك أمثلة رائعة من أنماط الفن الحيوانى الاسقوثى السيبيرى ؛ وشكل ضخم من البرونز لحيوان مفترس ملتف فى صورة خاتم ، ورأس جواد شكيم صنعت من العاج ·

ويمكننا أن نفترض أيضا بأن وفودا من البلدان المجاورة قد اشتركت فى حفل الدفن الملكى وأنهم وضعوا هداياهم المقدمة الى الملك المتوفى فى ست غرف واقعة الى الشمال والشمال الشرقى من الغرفة الرئيسية ، ودفن فى كل غرفة من هذه الغرفات مابين اثنى وعشرة خيول ·

وأطقم أطواق كل مجموعة من الخيول تنتمى الى نمط معين وتختلف عن جهاز طقم كافة المجموعات الاخرى ؛ كما أن زخارف الأطواق مختلفة كذلك · وهناك خمس قطع علوية فريدة فى نوعها صنعت من البرونز (لعلها من الوية معركة ما) · وهى ذات أشكال أثرية تمثل كباشا جبلية ·

وفى حالة واحدة كانت الخيول تصحبها شخصيتان مسنتان ، دفنتا بجانب الخيول فى كتل خشبية مفرغة · وواضح أنهما قدما من مكان قصى ، ليكونا فى صحبة الملك ، الذى لم يكن مبجلا فى وطنه فحسب ؛ بل كان مبجلا كذلك فيما وراء حدود وطنه · ولعل مشاركة وفود اجنبية فى جنازات كبار زعماء البدو قد حدثت بصورة متكررة كثيرا فى الماضى ·

والدليل على ذلك – مثلا – ما تدلنا عليه عبارة كتبت على قبر تركى قديم · من أنه فى جنازة أول قاجان أو زعيم تركى تجمع «الباكون والمنتحبون» من كافة أطراف الدنيا بما فى ذلك بعض قبائل وأناس ممن ليسوا من رعايا الأتراك ، أى من شواطىء المحيط الهادى وغابات سيبيريا وآسيا الوسطى ؛ بل قيل انه قد حضر رسل من «الأفار» و «الروم» ، ورسل من مناطق الاستبس فى البحر الاسود ومن بيزنطة القاصية ·

ويستطيع المرء أن يحكم على اعداد المشتركين فى حفل الدفن من بقايا الوليمة الجنائزية ، اذ حول كورجانات (جبانات) ارزهان أطلال حظائر صخرية دائرية صغيرة ؛ قائمة فى شكل شبه دائرة ، وهناك أكثر من ٣٠٠ منها · وقد وجد فى أطلال كل منها عظام حصان ، ولكن لم يتبق منها الا أجزاء من الجمجمة وعظام الجزء السفلى من القوائم ·

ومن الجلى أن هذه بقايا الخيول المقدمة التى صفت فى مكان الاحتفالات الجنائزية بعد أكل لحم الخيول وانتهاء الوليمة الجنائزية ؛ مثل هذه الشعيرة كانت واسعة الانتشار بين البدو منذ أقدم الأزمنة وما تلاها ، ولو أن جوادا واحدا أكل فى موقع كل حظيرة لكان جملة عدد من حضروا الوليمة الجنائزية يربى على ١٠٫٠٠٠ ·

ومقبرة «ارزهان» دليل واضح على أن الحضارات التى يطلق عليها اسم «حضارات الحقبة الاسقوثية الاولى» قد سبقتها حضارات هى بالفعل من نمط «اسقوثى سيبيرى» كامل التكوين · وقد يتردد بعض العلماء فى عزو مثل هذه الآثار فى مناطق استبس البحر الأسود الى حقبة قديمة من الحضارة الاسقوثية ، ولكن – فى هذا الخصوص – ليس هناك شك فيما يتصل بآثار اقليم سايان ألطاى · والآثار الاخرى التى تنتمى الى هذه الفترة ذات النمط الاسقوثى السيبيرى الكامل معروفة أيضا فى اقليم سايان ألطاى ؛ ومن بين هذه الآثار مايطلق عليه اسم أحجار الغزلان ويعد أطرفها الى حد بعيد ·

لقد اكتشف القليل من أحجار الغزلان فى القرن التاسع عشر فى مكان غير بعيد عن «ارزهان» · وقد عثرنا أيضا على قطعة من مثل هذا الحجر فى مقبرة «ارزهان» على سقف غرفة من غرفها · وأحجار الغزلان لها مظهر عمود دائرى أو مستطيل أو حجر اردوازى الشكل ، يمثل مقاتلا ومعه أسلحته فى صورتها التقليدية ؛ ويتراوح الحجر فى الارتفاع بين نصف متر وثلاثة أمتار ·



رسم يوضح تصميما على اربع جوانب لحجر الغزلان · (حوالى القرن ٨ ق·م ·) عثر عليه فى مناطق الاستبس المغولية ، وبالرغم من أنها سميت بهذا الاسم من جراء صور الغزلان المنقوشة عليها فان هذه الأحجار تمثل فى الواقع صورا لمقاتلين من البدو ، ويلبس هذا المقاتل عقدا · وأقراطا · أما أسلحته فتتضمن خنجرا وبلطة معلقة من حزامه ؛ وهناك غزال يلتف حول جسده بانحراف · والكثير من مثل هذه الأحجار يتراوح ارتفاعها بين نصف متر وثلاثة أمتار ، قد عثر عليها فى منغوليا وجمهورية توفا المستقلة فى الاتحاد السوفيتى ، أما تلك التى عثر عليها فى الأورال فتختلف اختلافا طفيفا فى أشكالها ·

(رسم · تصوير أرورا آرت للنشر ؛ ليننجراد) ·

وفى الجزء السفلى من الحجر نجد المقاتل متمنطقا بسير من الجلد يتدلى منه قوس وخنجر وبلطة وأسلحة أخرى ؛ وفى الجزء العلوى من الحجر ، حيث من المفروض أن يكون وجه المقاتل ، هناك عادة ثلاثة خطوط صغيرة مائلة ومتوازية ؛ وعلى الجوانب أقراط وأسفل منها عقد أو نوط · وعلى السطح الأملس للحجر كانت تصور أشكال لغزال رائع وأحيانا تصور حيوانات أخرى ، ومن ثم كانت تسمية هذا الحجر بحجر الغزلان ، رغم أنه من الغالب أن لا تكون هناك رسوم لغزلان على الحجر ·

ومعظم أحجار الغزلان اكتشفت فى مناطق الاستبس فى منغوليا كما اكتشف أيضا كثير غيرها فى «توفا» ؛ كما أنها عثر عليها أيضا فى الأراضى المتاخمة فيما وراء بحيرة «بيكال» وفى مناطق «ألطاى» الجبلية ، والى أقصى الغرب توجد أمثلة فريدة فى أماكن بعيدة تصل فى بعدها الى جنوبى أورال · وفى هذه المناطق من الأورال مازالت هذه الرسوم الحجرية للمقاتل رسوما تقليدية ، أى أن الجانب الأملس من الحجر لا يحمل الا رسوما لبلطة وخنجر مع رسم لحزام أحيانا ·

صحيح أن أعمدة شمال القوقاز قريبة الشبه فى نمطها بأحجار الغزلان ولكنها تمثل الى حد ما ؛ متنوعا فرديا لصور مقاتل تقليدى ، ومع ذلك فهناك متنوع آخر لمثل هذا النحت عثر عليه فى أقصى الغرب ، وقد وجد واحد فى رومانيا وآخر فى بلغاريا فى جبانة «بتيشارا موجيلا» السابق ذكرها ·

وجدير بالذكر أن النحت الأثرى فى مناطق الاستبس فى آسيا والبحر الأسود ، بما فيه صورته التقليدية لمقاتل ؛ ظهر وتطور فى أول بداية تكوين الحضارة الأولى الاسقوثية السيبيرية البدوية · والمراحل المتتابعة فى تطوير هذه الصورة للمقاتل اقتفت أثر خطوط مماثلة عبر الامتداد العريض للاستبس · وبالمثل ، فان النمط الحيوانى الاسقوثى السيبيرى ، بالرغم من كل ما فيه من تنوع ؛ تطور وحيدا عبر الأراضى الشاسعة الممتدة من الدانوب حتى سور الصين العظيم ·

والآثار المعروف تبعيتها للحقبة الأولى من الحضارة الاسقوثية مازالت ضئيلة جدا فى عددها فى مناطق الاستبس سواء فى آسيا او فى منطقة البحر الاسود ، ومازال من المحال استنادا الى ما عثر عليه فى مقبرة «ارزهان» وعلى بعض الآثار الأقل أهمية التى اكتشفت فى ألطاى ؛ مازال من المحال اعطاء صورة كاملة لأصل وتكوين الحضارات النمطية الاسقوثية السيبيرية بالرغم من أنه صار فى الامكان اليوم استخلاص بعض النتائج الهامة ·

ولعله لم يعد هناك ما يقال من أن الحضارات الاسقوثية السيبيرية قد نشأت فى القرن التاسع ق·م ، أو أنها انتشرت بعد ذلك من مركز واحد الى مختلف الاتجاهات بما فى ذلك الشرق · وواضح أن العامل الحاسم فى تطوير سكان مناطق الاستبس فى ذلك الوقت كان هو التحول الى اقتصاد جديد قائم على تربية ماشية بدوية ، وكان هذا حافزا لتطوير أساليب زراعية حديثة وصور حضارية جديدة ·

ومن الصعب أن نكون دقيقين كل الدقة فيما يتصل بتحركات وممارسات قبائل معينة ؛ بيد أنه من الواضح أنه فى القرن الثامن ق·م وماتلاه ظهرت أنماط من الحضارات شبيهة بالنمط الاسقوثى السيبيرى ، وتطورت فى آن واحد · وكان التبادل الواسع الذى حدث بين القبائل سواء سلميا أو عن طريق الحروب وغارات السلب والنهب يعنى أن ماكان لقبيلة ما من حضارة انتشر انتشارا واسعا بين القبائل الأخرى ·

ولقد كان واضحا أن القبائل القديمة لمناطق الاستبس فى آسيا هى التى أقامت وشيدت الحضارات ذات النمط الاسقوثى السيبيرى التى انتشرت الى مدى كبير مثلما فعل معاصروهم الاسقوثيون ، بل انه من الأرجح أن المساهمة التى قامت بها قبائل آسيوية مثل تلك القاطنة «ألطاى» و «توفا» ؛ فى تكوين الفن الاسقوثى السيبيرى والحضارة الاسقوثية السيبيرية ، كانت أحيانا أكثر أهمية من تلك التى شيدها الاسقوثيون أنفسهم ·

والواقع أن المرء ليتساءل عما اذا كانت اسقوثيا الأوربية ، مثلما يعتقد كثير من الناس حتى اليوم ؛ قد مباوء مركز الأراضى الاسقوثية السيبيرية · ومع ذلك فلقد كان موقعها على المحيط البعيد للأراضى الاسقوثية السيبيرية ، كما أن قربها واتصالاتها الوثيقة مع حضارة البحر المتوسط كبحت – الى حد ما – جماح الابداع الخلاق لدى الاسقوثيين ·

الشامانات والشامانية

يصور فنانو السهوب الغرفين بأشكال مختلفة لا عدلها ، توضح قوة وضراوة هذا الحيوان الخرافى الذى يشبه النسر فى قوة منقاره ، وحدة عينه . يزدان برأس هذا الحيوان سيف اسقوثى اكتشف فى القرن ٥ ق.م باقليم كوبان شرقى البحر الأسود .

تصوير : دار نبس للنشر ، موسكو



رحلات الأبطال إلى بلاد خرافية

بقلم جريجورى م . بونجارد وإدفين ا . جرانتوفسكى

لا ريب أن حضارة الاسقوثيين الراقية الأصيلة قد تأثرت بالشعوب الأخرى ، وأثرت الى حد كبير لا فى المجتمعات القديمة والشرق القديم فحسب ، بل أيضا فى المناطق القبلية الشاسعة فى أوربا وشمال آسيا .

وكان الاسقوثيون يعرفون قدرا كبيرا من قصص الأبطال التى تجلت فيها ثقافتهم الروحية . ومن الممكن البحث عن آثار هذه القصص على الرغم من أن الملاحم الاسقوثية لم تصل الينا .

والذى يجعل هذا البحث ممكنا هو الصلات المصرية بين القبائل والشعوب التى عاشت فى السهوب الروسية الجنوبية خلال العصر الاسقوثى ، والاتصال الواسع النطاق بين الاسقوثيين وجيرانهم . وكان هؤلاء الجيران يتألفون من سكان منطقة الغابات الواقعة فى شمال أوراسيا الذين احتفظت ذراريهم بمأثوراتهم الشعبية القديمة حتى العصور الحديثة ، كما يتألفون من الهلينيين (الأغارقة القدامى) فى الجنوب بكل آدابهم القديمة الغنية .

وقد زار الاسقوثيون بلاد الاغريق أيضا بدليل أن الكتاب والفلاسفة القدامى كانوا يعرفون اناكرسيس ؛ ذلك الحكيم الاسقوثى الذى عده الأغارقة من الحكماء السبعة فى العالم القديم .

وتنوه مختلف أخبار الاسقوثيين التى تضمنتها الكتب القديمة بذكر عدد من الملوك الأبطال . وأبطال الاساطير الاسقوثية وآلهة الاسقوثيين وبعض المخلوقات الخيالية كالمحاربين الأريماسبيين العور ؛ والغرافين (جمع غرفين) التى تحرس كنوز الذهب . وتدل هذه الأخبار على وجود عدد كبير من الأفكار والمعتقدات الأسطورية والدينية . والملاحم العالية المستوى ، بين الاسقوثيين .

وقد تسربت بعض هذه الصور الاسقوثية الخيالية الى موضوعات الأساطير الهلينية فى حين ان بعض الشخصيات فى الأساطير الاغريقية تشترك فى صفات الشخصيات المماثلة فى الأساطير الاسقوثية ؛ وقد انتقلت هذه الشخصيات من الأماكن التى احتلتها فى المأثورات الاغريقية القديمة الى الاسقوثيين فى الشمال .

ومن حسن الحظ انه يمكن أن نجد ما يؤكد الأصل الاسقوثى لبعض الموضوعات المشار اليها سابقا بين الشعوب النازلة فى شمال شرقى أوربا وفى سيبريا ، والنائية عن الأقاليم التى اتصل فيها الاسقوثيون بالاغريق .

فالأدب الشعبى عند هذه الشعوب يتضمن صورا خيالية لأشخاص عور يماثلون الأريماسبيين عند الاسقوثيين ، وصورا لبعض الحيوانات المخيفة كالغرافين الحارسة للذهب عند الاسقوثيين . ومنها صور قريبة من الصور الاغريقية ومماثلة لها فى صفاتها كصور العذارى الطائرة الحاملة للموت والمماثلة للغراغين (جمع غرغونة) عند الاغريق ؛ وكبنات تيتان ذوات الأجنحة . وكالريح الباردة التى تسكن فى كهف يشبه كهف بورياس اله الريح الشمالية فى المأثورات الاغريقية المتأخرة .

وهل يمكن أن تكون مثل هذه الأفكار المتطابقة وليدة الصدفة عندما ترد فى أساطير بلاد نائية بعضها عن بعض كبلاد هيلاس وأقاليم الغابات فى شمال أوراسيا ، وعندما ترد فى أساطير المأثورات الأدبية القديمة وفى تلك الأساطير التى لم يكتشفها الا الفولكلوريون والأنثروبولوجيون المحدثون ؟

لقد كان الايسودونيون يقطنون فى السهوب الممتدة من نهر الفولجا الى جبال الأورال والبلاد الواقعة وراء الأورال . وكان الهلينيون يعرفون هذه الأقاليم عن طريق القصص الاسقوثية ؛ وارستياس الاغريقى الذى عاش فى اسقوثيا خلال القرن السابع ، ووصل بالطبع الى الايسودونيين .

وكان الأرجبيون يسكنون الغابات القريبة من جبال الأورال والممتدة على طول نهرى كاما والفولجا . ويروى لنا هيرودوت فى هذا الصدد « أن الاسقوثيين الذين ذهبوا اليهم (أى الى الأرجبيين) اضطروا أن يستخدموا سبعة مترجمين وسبع لغات » . ثم ان وجود طريق تجارى فى عهد الاسقوثيين يمتد الى اقليم جنوب الأورال ، وغابات الفولجا ـ كاما يؤكده ما اكتشفه الأثريون فى هذه الأقاليم من الأشياء المستوردة من منطقة شمال البحر الأسود .

والواقع أن الاتصالات بين الاسقوثيين وأقاليم الفولجا ـ الأورال ذات الغابات التى انتشرت فيها اللغات الفنلندية ـ الأجرية تفسر لنا كثيرا من الكلمات المقتبسة من شعوب السهوب والمستعملة فى اللغات الفنلندية ـ الأجرية . وهذه الكلمات المقتبسة تمت بصلة للثقافة المادية والروحية والمعتقدات الدينية والأفكار الاسطورية .

ومن الألفاظ المقتبسة اسم الريح الشمالية « فات » الذى اقتبسه الأجريون فيما وراء الأورال من اسم اله الريح « فاتا » المستعمل بين الهنود الأوربيين والاسقوثيين . يضاف الى ذلك أن الحكايات عن الريح الشمالية شديدة الشبه بالحكايات التى ترويها الكتب القديمة عن « بورياس » الذى جلب البرد القارس الى اسقوثيا ؛ فكلاهما يجد مسافرا ، ويلفه بأنفاسه الغاضبة ، ويقتلعه من قدميه ، ثم يطوح به بعيدا او يقضى عليه .

وما من شك فى أن الاغريق اعتبروا بورياس هذا ـ وهو شخصية من شخصيات الأساطير الاسقوثية المحضة ـ مماثلا لريح الشمال عندهم التى يطلقون عليها اسم « بورياس » .

وماذا تدلنا عليه الآثار القديمة ؟ لقد عثر الأثريون ـ على سبيل المثال ـ فى المنطقة الواقعة حول نهر كاما على تماثيل من المخلوقات تستخدم للعبادة ، نصفها طائر ونصفها حيوان ؛ ورأسها رأس ذئب أو كلب . وكذلك الحيوانات المجنحة أو « الغرافين » ، هى أيضا من الموضوعات المألوفة فى الفن الاسقوثى التى يجمعون فيها بين ملامح النسر والأسد (أو أى حيوان مفترس آخر من فصيلة السنور) .

بيد أن كثيرا من المصنوعات الاسقوثية القديمة

جريجورى مكسيموفتش بونجارد ـ لفين : نائب رئيس الجمعية الدولية للدراسات السنسكريتية . يقوم بالبحث العلمى فى معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية . مستشار لليونسكو ؛ وحائز على جائزة جواهر لال نهرو ، لتعزيز التفاهم الدولى . حجة فى المشكلات الثقافية ، وتاريخ آسيا الوسطى والهند .

الف كتابا بالاشتراك مع ادفين ا. جرانتوفسكى بعنوان : « من اسقوثيا الى الهند » (موسكو ؛ ١٩٧٤) ، عالج فيه موضوع هذا المقال بصورة شاملة ادفين ارفيدوفتش جرانتوفسكى ـ اخصائى فى التاريخ القديم لايران وآسيا الوسطى ؛ والاسقوثيين . يقوم بالبحث العلمى فى معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية . من بين مؤلفاته العديدة المنشورة دراسة بعنوان : « التاريخ القديم للقبائل الايرانية فى آسيا القريبة » (موسكو ، ١٩٧٠)

في منطقة البحر الأسود (في القرنين ٦ - ٥ ق.م) تجمع بين صورة الطائر - الحيوان وصورة الكلب . وليس من قبيل الصدفة أن نرى اسخيلوس (في القرنين ٦ - ٥ ق.م) في مسرحيته « بروميثيوس المقيد » يصف الغرافين التي تشبه الطير بأنها كلاب « صامتة » أو « غير نابحة » و خلافا لما يرد به التقاليد الغربية من وصفها بأنها تشبه الأسود) .

وتزودنا الكتب القديمة بمعلومات هامة عن الوصف « الجغرافي » لاسقوثيا . وما جاورها من البلاد كما يتضح من كتب مختلف المؤلفين في العصر القديم .

ومن هذه المعلومات أنه كانت هناك أقاليم تمتد من الجنوب الى الشمال يسكنها أقوام كانوا موجودين بالفعل كالأرجبيين والايسيدونيين على أنه فيما وراء هؤلاء الأقوام الى الجبال الشمالية العظيمة التي تسمى « ريبا » كانت تعيش قبائل خرافية ، ومخلوقات خيالية ، منها المخلوقات المعروفة الآن باسم الأريماسبيين ، والغرافين ، وغيرهم . وهنا أيضا كان يسكن « بورياس » . وكانت هذه الأقاليم مغمورة بالثلج ومغمورة بالظلام ، ومغطاة بالجليد . وكانت هذه هي مملكة الشتاء في أسوأ صوره .

ولكن اذا توغلنا شمال هذه الأقاليم في اتجاه جبال ريبا التي تبلغ قممها الذهبية عنان السماء ، وتدور حولها الشمس والنجوم ، وجدنا على قمم الجبال وساحل البحر الشمالي الدفء دائما ، خاليا من الرياح ، وخصبا للغاية .

وفي غابات هذا الاقليم كان يعيش شعب سعيد ومقدس يطلق عليه في الروايات القديمة اسم « الهيبربوريون » . وكانت الشمس تشرق وتغرب فيه مرة واحدة في السنة اذ كان النهار يستمر ٦ شهور والليل مثل ذلك . وكان السكان يزرعون المحاصيل في الصباح ، ويحصدونها في الأصيل ، ويجنون الفواكه من الأشجار في المساء .

ترى : من صاحب هذه الصورة الجغرافية ؟ هل هم الأساقثة أم الاغارقة ؟ أو اذا أردنا صياغة السؤال على نحو آخر : أي عناصر هذه الصورة يعزى الى أي الشعبين ؟

ان جبال ريبا قد يكون المقصود بها جبال الأورال . كما أن الأساطير التي تدور حول ذهبها والغرافين التي تحرسه تعكس بلا شك الفكرة المتصلة بتعدين الذهب في الأقاليم الواقعة حول الأورال . وهي فكرة تؤيدها المصنوعات القديمة في هذه الأقاليم بيد أن سلسلة جبال الأورال تمتد طولا من الجنوب الى الشمال في حين أن جبال ريبا تمتد عرضا عبر البلاد الواقعة شمال العالم الاسقوثي .

وقد يكون البحر الشمالي الذي يمتد وراءها صدى لما عرفه الأساقثة عن المحيط القطبي ؛ وان كان وجود بلاد عامرة بالخيرات ؛ دافئة المناخ ضربا من الخيال . الا أن كلا من الليل والنهار يستمر ستة أشهر في هذه البلاد . ومن الصعب بل من المستحيل الا نجد ذلك انعكاسا لحقيقة واقعة وهي تعاقب النهار والليل القطبي (وان كان كل من الليل والنهار لا يستمر بالطبع ستة أشهر في العام « دون انقطاع ») .

وكان أسلاف القبائل الايرانية والهندية القديمة الذين عاشوا بجانب أسلاف الأساقثة يشتركون معهم في النواحي الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية والثقافية والدينية .

وعلى أساس الشواهد المتناثرة الباقية حول الأساقثة و[illegible] وعلى أساس أوجه الشبه بين اللغات الهندية - الايرانية استطاع العلماء أن يعيدوا المعالم الأساسية للغة الاسقوثية ولهجاتها ، وطبيعة الآلهة التي عبدها الأساقثة .

وكذلك نجد أن تفاصيل بعض الملاحم والمأثورات الهندية والايرانية تتشابه بدقة تصورات الأساقثة عن اقليم الشمال . ففي الملحمتين الهنديتين العظيمتين : مهابهاراتا ورامايانا - مثلا - نجد أن الأساس الجغرافي لذلك في شكل سلسلة من الصور والمشاهد الشمالية .

فهاتان الملحمتان تقصان علينا كيف أنه توجد جبال ميرو المقدسة فيما وراء الجبال والصحارى والبلاد والشعوب الحقيقية ؛ والممالك والقبائل الخرافية . وان القمم الذهبية لهذه الجبال تصل الى عنان السماء وان الأجرام السماوية تدور حولها .

وفيما وراء جبال ميرو يقع البحر الشمالي المشابه لدرب اللبانة أو الطريق اللبنية . وعلى شواطئ هذا البحر والمنحدرات الشمالية لجبال ميرو يعيش شعب خرافي سعيد ، مطهر من جميع الآثام وخال النفس من كل فكرة عن الشرف أو العار . عجيب في هيئته ، قياسي في حيويته » .

وفيما وراء جبال ميرو التي تشرق « الشمس ذات الشعر الذهبي » فوق قممها الشاهقة .. يستمر النهار نصف العام " والليل مثل ذلك . و « ليلة واحدة ونهار واحد يعادلان عاما واحدا » . ويرد أيضا ذكر النجم القطبي الثابت وموضع النجوم الثابتة التي لا تمكن مشاهدتها الا في أقصى الشمال فوق خط عرض ٥٥ شمالا . وهذه الأوصاف للبلاد الشمالية النائية يلقيها الطائر المقدس « جارودا » الى الراهب جالافا قبل أن يحمله الى الأرض المباركة .

ومن المهم أن نلاحظ أن المعلومات عن « الظواهر القطبية » في الملاحم الهندية يرجع تاريخها الى زمن لا يمكن أن تكون قد تأثرت فيه بعلم الفلك الهندي . ولذلك يجب اعتبار الاشارات القطبية الواردة في القصص الهندية « معلومات » مستقاة من الشمال .

ويدل الاطار الملحمي والأسطوري الذي تظهر فيه الاشارات القطبية في المأثورات الهندية القديمة على أنها تنتمي الى الأساطير التي احتفظ بها أسلاف القبائل الهندية منذ الوقت الذي كانوا فيه يجاورون القبائل المتصلة بهم والقاطنة في الشمال .

وفي الكتاب الايراني القديم المعروف باسم افستا ، (أو زند أفستا) وما يرتبط به من الكتب الزرادشتية نجد موضوعات أسطورية مماثلة تتضمن الاشارة الى موطن سعيد لشعب خرافي ، الشمس تشرق وتغرب مرة واحدة في العام (يسمى فيه ليل واحد ونهار واحد عاما كاملا) . وتقع أرض هذا الشعب الطيبة بالقرب من بلاد باردة يستمر فيها الشتاء ١٠ أشهر والصيف البارد شهرين وذلك الى جانب جبال شمالية عظيمة . وهذه الجبال التي تصل الى السماء تقوم بدور مشابه لما ورد ذكره في المأثورات الهندية والاسقوثية .

كل ذلك يفضي بنا الى نتيجة واحدة وهي أن ثمة أصلا مشتركا للأساطير الهندية - الايرانية عن البلاد الواقعة في أقصى الشمال ، وأصلا مشتركا للمأثورات والروايات عن وجود أقاليم نائية تقع فيما وراء العالم الاسقوثي . ولكل هذه الدورة من المفاهيم المترابطة أساس ديني قديم واحد .

وفي كل من المأثورات الثلاثة : الهندية والايرانية والاسقوثية نجد الصورة الشاملة مرتبة على نسق واحد ينتقل من المناطق الجغرافية الحقيقية في الجنوب الى البلاد الأسطورية بجانب المحيط الشمالي . وفي كل من هذه المأثورات نجد أن هذا المحيط يمتنع الوصول اليه على البشر . وكل محاولة للوصول اليه تبوء بالفشل أو تنتهي بموت البطل الجرئ الذي يشق طريقه في بلاد القبائل الخرافية والمخلوقات غير الطبيعية .

وعند هذه النقطة تتكون لدينا فكرة أوضح عن التوزيع « الجغرافي » لتلك الشخصيات التي وضع الأساقثة ثم الاغارقة مكانها بين اسقوثيا والجبال الشمالية ؛ وهي العذارى الحاملات للموت اللائي عشن في الظلام والاريماسبيون والغرافين وغيرهم .

وقد حذر القصاص الهنود - مثلا - من وجود اقليم مهجور مظلم في سفوح جبال ميرو " يملأ القلوب رعبا ، وتسكن فيه الغولة والهامة ؛ وآكلات لحوم البشر ؛ وأشرار العمالقة .

ولكن صورة حاجز « الشتاء » قد اختفت فعلا من حكايات الهند ذات المناخ الحار . على أن أساطير الايرانيين - وهم أقرب الى الأساقثة جغرافيا وسلاليا - تشير الى صقيع الشتاء القارس القاتل الذي يأتي من الجبال الشمالية العظيمة كما تشير الى موت الأبطال في سفوح الجبال لتجمدهم في الثلوج التي تذروها الرياح العاصفة . وواضح أن هذا الدور تقوم به في الأساطير الاسقوثية تلك الرياح الشمالية التي تهب من منحدرات جبال ريبا . وتقضي على المسافرين .

ومما يجدر ذكره أن هيرودوت يردد القول باستحالة التغلغل في الأقاليم الشمالية فيما وراء اسقوثيا ؛ بسبب الثلج الكثيف والبرد القارس . ويرى أيضا أن الناس لا يعيشون هناك . ولكن شمال أوربا الى المحيط القطبي كان آهلا بالسكان قبل العصور الاسقوثية والعصور قبل الاسقوثية بزمن طويل . وقد أشار الاسقوثيون الى أن عدة « شعوب » تعيش هناك وان وصفوا ملامحهم بأنها غير عادية .

وانك لتجد في القصص الهندية والايرانية





السكلوبيون والحرس المجنح

تقول الأساطير انه يوجد فيما وراء اسقوثيا مخلوقات خرافية مثل الأريماسبيين والغرافين . كانت الغرافين المجنحة تحرس كنوز الذهب وتحميها من الأريماسبيين العمالقة العور الذين يحاولون دائما سرقة هذا الذهب . وقد دخلت قصص كفاحهما في أساطير كثير من الشعوب كما يدل على ذلك هذه الصارعات المتماثلة بين عمالقة السكلوبيين والغرافين في مكانين متباعدين . الصورة العليا تزين لباسا ذهبيا للرأس اكتشف في مقبرة ببلدة بلستنزا في الاقليم الواقع شرقي البحر الأسود . والصورة الاخرى نقش بارز على قبر في جنوب ايطاليا . يرجع تاريخ كلتا الصورتين الى القرن ٤ ق.م .

صلة مباشرة بين هذا الموضوع واحدى الملاحم التي تتنبأ بقصة الملك الظافر (اسمه يوذيشترا في المهابهاراتا ، وخسرو في الملحمة الايرانية) ؛ فقد ترك هذا الملك مملكته . ووصل حيا الى الأرض المباركة في الجبال الشمالية ؛ ولكن الأبطال الذين رافقوه هلكوا في الثلوج التي تقول الأساطير الايرانية ويقول هيرودوت انها تسد الطريق الممتد من المملكة الاسقوثية الى الشمال .

وهناك أبطال مختارون ، ورجال صالحون لا يصلون الى هذه البلاد الا بعد موتهم . ومع ذلك وجدت هناك « وسيلة » أخرى للوصول اليها لمدة محدودة لا تتاح الا لبعض المشاهير من الحكماء والكهنة والنساك . وقد أصبحت هذه « الرحلات » العجيبة مادة لموضوعات الأساطير الهندية والايرانية والاسقوثية ، ومنها - على سبيل المثال - أعمال جالافا ؛ ونارادا ، وشوكا في المهابهاراتا وآردا - فيراز في الروايات الزردشتيه .

وقد ذاعت في العالم القديم قصة حول اباريس الاسقوثي الذي قدم من بلاد الهيبربوريين . وخلاصة هذه القصة أنه عبر الأنهار والبحار والأماكن التي يتعذر اجتيازها ، وكأنه يسافر على متن الهواء . وفي أثناء هذه الرحلة طهر البلاد من الآفات ، وطرد الأمراض الوبائية ؛ وتنبأ بوقوع الزلازل ، وهدأ ثائرة الرياح ؛ وسكن أمواج البحار .

وقد حافظت الجماعة الأخوية الفيثاغورية على « المعلومات » الخاصة بأباريس ؛ وأدرجتها ضمن أفكارها عن هجرة الروح ، ولكن الأساطير المتصلة به برزت بصورة مستقلة . وقد عرف هيرودوت أيضا « رحلات » اباريس وروى أنه « لم يأخذ معه طعاما » . ولكن هيرودوت آثر أن يفصل القول في شخصية اسطورية أخرى هي « أرستياس » فروى أنه ظهر في مكان ، في حين كان جسده في مكان آخر ؛ وأنه اتخذ صورة غراب أسحم وهو يتبع أبولو .

وكانت الروايات والمأثورات التي ظهرت في عهد الاتصالات الأولى بين الأساقثه والاغارقة هي أساس الأساطير المتعلقة بارتياس . وكان ثمة شبه واضح بين المعتقدات الدينية الاسقوثية وعبادة ابولو الاغريقي ، وكان ارستياس من اتباع ابولو . وهذا الشبه هو الذي أدى الى ذيوع الأساطير المتصلة بارستياس .

وقد أشارت القصيدة « اريماسبيا » التي قيل ان ارستياس هو ناظمها الى الرحلة الى بلاد « الشعب السعيد » الذي يوجد فيما وراء اسقوثيا والجبال العظيمة على سواحل المحيط الشمالي .

والواقع ان هذه القصيدة تتحدث عن رحلة حقيقية خلال اسقوثيا وعن القبائل التي سكنتها ؛ وحياتها وعاداتها .

وكان ناظم القصيدة ملما أيضا بموضوعات الأساطير والملاحم التي ذاع أمرها بين الاساقثة وجيرانهم . ويرى كثير من الأثريين ان هجرة أرستياس الى الشعب الشمالي السعيد تعكس المعتقدات الخاصة « برحلات » الروح . وقد اقتبست هذه المعتقدات بلا شك من العبادات الشامانية .

وقد كتب العالم الأنثروبولوجي الشهير سيرجي توكاريف يقول انه « خلال الطقوس الدينية كان الشامان يخر مغشيا عليه ، مما يحمل المتفرجين على الاعتقاد بأن روحه قد فارقت جسده . وكان الشامان يهذي في غشيته بكلام يفهم منه أنه مشاهد بلادا نائية ، ويتحدث بصوت عال عن رحلاته » .

وكانت عبادة الطيور تقوم بدور خاص في ذلك ؛ اذ كان الشامان أو روحه يقلع على هيئة طائر في أسفاره البعيدة ، وهذا الطائر هو غراب أسحم في الغالب ، يطير فوق بلاد معروفة أو خرافية .

وكانت الديانة الشامانية منتشرة في العصور

القديمة بين الشعوب الشمالية فى آسيا واوربا ؛ ولكن ديانات قدامى الهنود والايرانيين والاساقفة تنتمى بوجه عام الى نوع آخر مخالف للديانة الشامانية . على الرغم من بعض أوجه الشبه بين ملاحمهم وأساطيرهم وبين الأساطير الشمالية . ومع ذلك فان عددا كبيرا من الاخصائيين الايرانيين والهنود يعتقدون أن الممارسات الدينية عند الهنود والايرانيين والأساقفة تتشابه من بعض الوجوه الديانة الشامانية الشمالية ، وبخاصة شامانية الفنلنديين والأجريين .

ويعرف المؤرخون بعض الشيء عن العلاقات القديمة بين أسلاف الهنود القدامى ، والايرانيين والقبائل الاسقوثية وبين أسلاف الفنلنديين والأجريين ، فهم يعرفون ـ مثلا ـ كثيرا من أوجه الشبه بين لغات هذه الشعوب ومن بينها اسم الوسيلة الوجدية التى يستطيع بها الشامانات والكهنة أن ينقلوا أنفسهم من الحالة العادية الى حالة من الوجد أو الانجذاب الصوفى .

ولهذا الغرض كانوا يدخنون نباتات مختلفة منها القنب الهندى وكان الأساقفة يعرفون أيضا خواص القنب ، ويستخدمونه فى طقوس العبادات . ويحدثنا العالم اللغوى الاغريقى هسيكيوس أن القنب هو « النبات الذى يدخنه الأساقفة » وهو نبات قوى جدا لدرجة أن الذين يدخنونه يتصببون عرقا . وكان أهالى تراقيا المجاورين لاسقوثيا يستخدمون القنب فى تحضير خمر مقدسة .

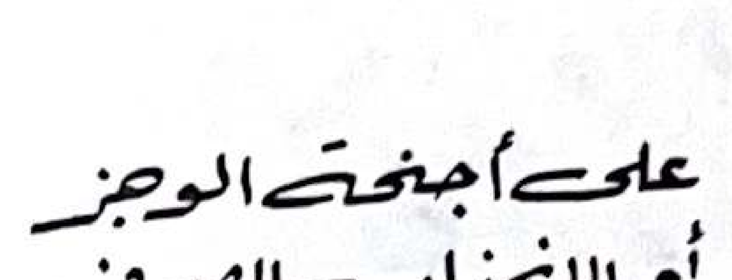
واليك ما ذكره هيرودوت عن هذا العمل : « ينصب الأساقفة ثلاثة أعمدة يميل بعضها نحو بعض بحيث تلتقى عند القمة ثم يشدون عليها قطعا من الصوف المتلبد شدا محكما بقدر الامكان ثم يلقون بين هذه الأعمدة حجارة محمية فى وعاء .

« وينمو القنب فى بلادهم ؛ وهو نبات يشبه الكتان ولكنه أخشن منه ملمسا ، وأكثر طولا . وهو ينمو بطريقة شيطانية ، وان كان الناس تزرعه .. يأخذ الأساقفة بذور القنب ؛ ويزحفون تحت القطع الصوفية ثم يلقون البذور على الحجارة المحمية ، فينبعث من البذور بخار لا يفوقه البخار المتصاعد من الحمامات البخارية الاغريقية . ويتمتع الاساقفة باستنشاق هذا البخار ، ويعلو صياحهم .. » اهـ .

وهذا يعكس طقسا دينيا يذكرنا بالممارسات الشامانية ؛ واذا كان الحال كذلك فان هذا الصياح يمثل أغنية يترنم بها العابد وهو فى نشوة الوجد التى يستولى عليه نتيجة التخدير الناجم عن الدخان المنبعث من بذور القنب المحمصة . وتؤكد حفريات العالم الأثرى الشهير سيرجى رودنكو فى جبال الطاى بسيبريا (انظر ص ٣٤) رواية هيرودوت والطبيعة الطقسية للعادة التى وصفها .

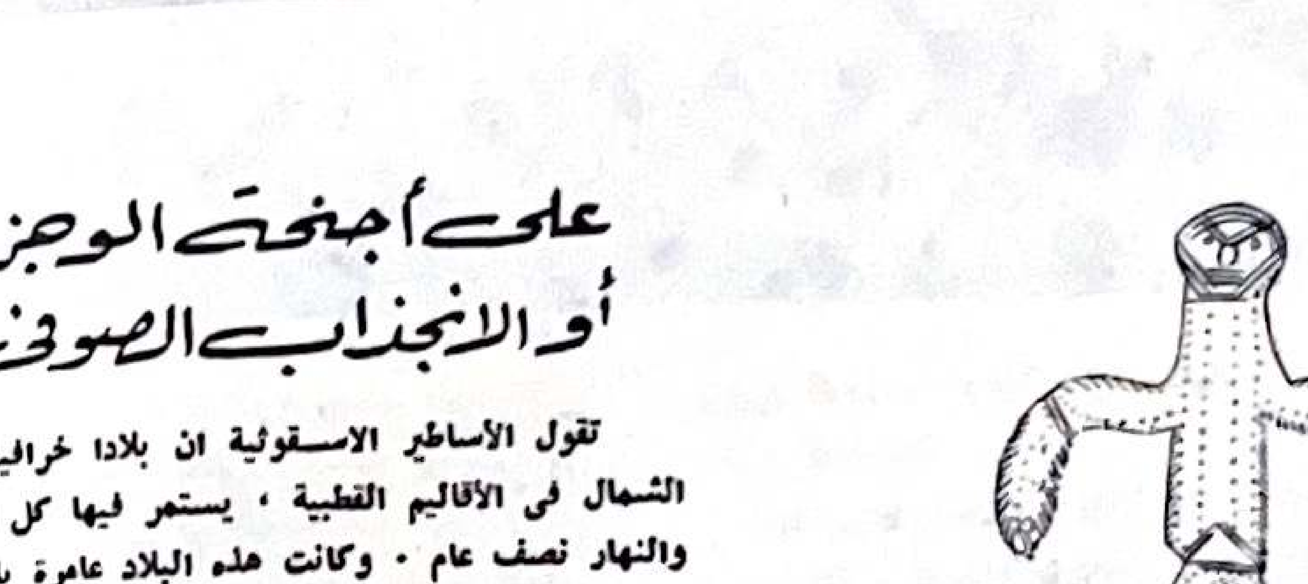
وفى مقابر الطاى (فى القرنين ٥ ـ ٤ ق.م) ساعدت طبقة الصقيع النائم على صيانة الأكواخ الصغيرة المصنوعة من الأعمدة المثبتة عند القمة (كوخان منها عليهما غطاءان أحدهما من الصوف المتلبد والآخر من جلود الحيوان) . وعثر فى





على أجنحة الوجد أو الانجذاب الصوفى

تقول الأساطير الاسقوثية ان بلادا خرافية تقع الى الشمال فى الأقاليم القطبية ، يستمر فيها كل من الليل والنهار نصف عام . وكانت هذه البلاد عامرة بالخيرات ولا يمكن لأحد ان يصل اليها سوى الأبطال والحكماء . وهذا الاعتقاد الذى دونه كثير من مؤلفى الاغريق والرومان القدامى يشبه بدقة ما ورد فى الأساطير والملاحم الهندية والفارسية التى تصف فردوسا ارضيا يقع وراء الجبال الشاهقة فى الشمال . كيف كان الكهنة والحكماء والأبطال يصلون الى هذه البلاد المنيعة ؟ تقول الروايات الشامانية فى السهوب الآسيوية ان الوصول الى هذه البلاد لا يتحقق الا بالدخول فى حالة من حالات الوجد او الانجذاب الصوفى الذى لا يعرف سره الا الشامان . فالشامان باعتباره كاهنا وطبيبا يستطيع ان يحول نفسه الى طائر (الشامان السيبيرى فى الرسم الى اليمين يلبس حلة ذات اكمام تمثل الأجنحة ثم يطير بعد ان تفارق روحه جسده . ومن الوسائل التى يستطيع بها الشامان ان يصل الى حالة الوجد او الانجذاب الصوفى : هى تدخين الحشيش المستخرج من القنب الهندى . اكتشفت بقايا خيمة « القنب » (ترى الى اليمين) فى قبر ببلدة بازيريك . وهذه البقايا عبارة عن أوتاد الخيمة ، ووعاء لاحراق بذور القنب . وتقول الأساطير الهندية ان الرحلة الى البلاد الخرافية تتم على ظهور طيور مقدسة كطير الجارودا (يرى فى اعلى اليمين فى صورة مصغرة يرجع تاريخها الى القرن ١٩) . وكان الطائر الخرافى يرسم فى شمال أوربا وجبال الأورال على بروشات معدنية (الرسوم فى الصفحة المقابلة) . كانت هذه البروشات تصنع على شكل طائر وتحمل غالبا وجه انسان . فى أعلى بجع من اللباد اكتشف فى قبر ببلدة بازيريك ، وكانت تستخدم لتزيين المركبات منذ ٢٤٠٠ سنة .







أحد هذه القبور على أوان نحاسية تحت الكوخ تحتوى على أحجار حميت فى النار ، وبعض بذور القنب المحترقة جزئيا ؛ كما عثر على حقيبة جلدية محتوية على بذور القنب ومربوطة الى أحد أعمدة الكوخ . وقد وصف الأنثروبولوجيون طقوسا شامانية مماثلة تؤدى فى أكواخ مخروطية الشكل يستعملها بدو آسيا .

وهناك أيضا حقائق معروفة عن استخدام نباتات أخرى لتحقيق نشوة الوجد خلال الطقوس الدينية . وتتضمن النصوص الدينية فى الهند وايران اسطورة مقتبسة من مصدر مشترك عن قيام الطائر المقدس « جارودا » بسرقة نبات من نباتات العبادة من الجبال العظيمة ، وهو نبات السوما . ويسمى هذا الطائر « شينا » فى مجموعة الرجفيدا وهى مجموعة تراتيم موجهة للآلهة . ويسمى فى المأثورات الايرانية « سينا » ثم « سيمورج » فى وقت متأخر .

وقد ذاعت بين الأساقفة أساطير مماثلة لما ذاع حول جارودا فى الهند القديمة وحول سيمورج فى ايران . وكان هذا الطائر العجيب الضخم هو أيضا أحد الصور الأسطورية التى استخدمتها قبائل الغابات فى شمال شرقى أوربا ، وفى الأورال ؛ وفيما وراء الأورال .

وترسم صورة هذا الطائر على عدد كبير من البروشات (دبابيس الزينة) المعدنية التى تصور الطيور والمخلوقات الشبيهة بالطيور كما ترسم على الأجسام التى تشتمل على وجه انسان . وقد دلت الحفريات على أن مثل هذه الموضوعات كانت شائعة حتى فى العصر الاسقوثى .

وهذه الأساطير والملاحم لا تعكس فحسب معتقدات أسطورية من صنع الخيال بل أيضا حقائق واقعية . ذلك أن أساطير الاساقفة وغيرهم من الشعوب كانت مزيجا من الخيال ، ومبادىء التفكير العلمى .

ولم يقتصر الاغارقة على توسيع الفهم الجغرافى عن طريق الاتصال بالاسقوثيين ومعرفتهم بالملاحم والخرافات الاسقوثية ، وعلم الكونيات حتى بصورة شبه اسطورية ؛ بل تجاوزوا ذلك الى اكتساب معلومات جديدة عن جغرافية منطقة الغابات النائية والمحيط القطبى الشمالى والظواهر القطبية .

وفى وسعنا أن نقرر أن المصدر الاسقوثى هو المرحلة الأولى فى تاريخ معرفة الأوربيين بأقصى الشمال . وعلى الرغم من أن معلومات جديدة قد أضيفت الى هذا الرصيد فيما بعد فى العصور القديمة ، فان المؤلفين الاغارقة واللاتين ظلوا قرونا عديدة يشيرون الى الروايات والمأثورات التى يرجع تاريخها الى القرنين ٧ ـ ٦ ق.م ، والتى تقوم على المعلومات المكتسبة من العالم الاسقوثى فى ذلك الوقت .

الأوسيتيون أسقوثيو القرن العشرين

بقلم : فاسيلى . ا . أباف

لم يختف شعب الاسقوثيين من على سطح الأرض بدون أن يترك وراءه أثرا يدل على وجوده فيما سلف من العصور القديمة .

ولو ألقينا نظرة على سجل او خريطة الأجناس فى اقليم القوقاز الذى استوطنه أكثر من اربعين شعبا لوجدنا فى وسط الاقليم شعبا صغيرا يسمى الآن « شعب الأوسيتيين » ويبلغ تعداده حوالى اربعمائة الف نسمة .

ولقد تأكد منذ فترة طويلة أن هذا الشعب لا ينتمى الى الأصل الذى ينتمى اليه جيرانه من القوقازيين . وذلك لأنه جاء من البرارى الجنوبية الروسية ودخل القوقاز من ناحيته الشمالية .

وكانوا فيما مضى من العصور معروفين باسم « الآلانيين » ، وهم قوم من الأقوام البرابرة . ولقد روى المؤرخ اليهودى (فلافيوس جوزيف) الذى عاش فى القرن الأول الميلادى أنهم قبيلة من قبائل كانت تقيم فى منطقة الدون وبحر قزوين .

وفى حقبة الغزوات الكبرى (ابان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد) اجتازت جماعات من هذه القبيلة مناطق عديدة من أوربا حتى وصلت الى فرنسا واسبانيا . والمعتقد أن اسم القبيلة يرجع تاريخه الى تلك الحقبة من الزمن .

أما الجماعات الأخرى من (الآلانيين التى بقيت

فاسيل ايفانوفتش أبايف : مستشرق سوفيتى مشهور . تخصص فى الحضارة الايرانية ولغة الأوسيتيين . وهو الى جانب هذا مستشار لدى المعهد اللغوى التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى . ومن أهم مؤلفاته دراسة ممتازة عن اللغات الأوربية ومواطنها .

أوربا الشرقية فقد زحفت الى القوقاز حيث أنشأت دولة اقطاعية ذات شأن واهمية فى ذلك الوقت . ثم اعتنقت المسيحية فى القرن الأول الميلادى ، وأقامت علاقات مستديمة مع بيزنطة وجورجيا وروسيا .

ولقد جلب غزو المغول وحروب تيمورلنك المحن والكوارث على « الآلانيين » فهلك بعضهم فى حروب متلاحقة ، وهاجر آخرون الى هنجاريا ؛ وتسموا باسم « لاس » ، واحتفظوا بخصائصهم العنصرية قرونا عديدة . وشارك فريق ثالث فى الحملات المغولية ، وفرقوا فى أقطار أجنبية .

ثم مكثت البقية الباقية منهم حيث كانت ؛ واعتصمت بجبال القوقاز الأوسط الوعرة .

ولا مندوحة عن المقارنة بين المناطق الشاسعة التى كانت ماهولة بقبائل « اسقوثيو سارماتس » قبل الميلاد بنحو الف عام وبين تلك الوديان الضيقة التى استوطنها قبائل الأسيتيين فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وذلك لما فى هذه المقارنة من مادة قيمة تدعو للتفكير فى محن الدهر ونوائبه .

وفى بتسواندا باقليم جورجيا قطعة صغيرة من الأرض المغطاة بالأعشاب والأشجار ، هى البقية الباقية من منطقة شاسعة كانت فيما مضى خضراء يانعة ؛ وكذلك الحال بالنسبة الى الاسقوثيين الذين لم يبق منهم سوى جماعة صغيرة فى جبال القوقاز .

ولقد احتفظت هذه الجماعة الصغيرة بمكنزين من ماضيها لا يقدران بثمن وهما اللغة وأشعار الفروسية او وصف الملاحم القديمة ، ولكنها تراث شفوى ، اذ لم يترك أبناء الجماعة اى أثر مكتوب أو تراث مخطوط . ومع ذلك فقد عثر بعض الباحثين على مخطوطات ونقوش اغريقية شمال البحر الاسود ؛ يرجع تاريخها الى عصر تلك الجماعة ، وتحتوى على العديد من أسماء أبناء قبيلة سارماتس أيضا .

ولقد أكد علماء من بلاد عديدة مثل العالم السوفيتى فسفلود ميلر العالم اللغوى الفائدة الجزيلة التى يمكن الحصول عليها من دراسة لغة هذا الشعب القديم لمعرفة تاريخه على وجه أفضل مما نعرفه الآن وحتى نستطيع اماطة اللثام عن سيرة أصحاب هذه الأسماء وما دعا لتسجيلها .

ومن المعروف من لغة هذه القبيلة كلمات مثل : سعادة ، وجدارة حزبية ، ووعل ؛ وحديد ، وصديق وأب ورأس الخ .

لقد ساعدت لغة الأوسيتيين الحديثة على معرفة معنى الأسماء التى سميت بها معالم بعض المناطق مثل المنطقة الواقعة شمال البحر الاسود . ومن اهم ما يذكر فى هذا الشأن على سبيل المثال اسم نهر الدون ، فان كلمة « دون » معناها فى اللغة المذكورة « نهر » .

ومن الجدير بالذكر ان فولكلور الأوسيتيين ينطوى على عناصر هامة من عناصر الاسقوثيين فقبيلة او قبائل الاوسيتين تفاخر كثيرها من شعوب القوقاز بملامحها البطولية التى يحمل أبطالها القابا معينة .

لقد أثبت العالم الروسى فسفلود ميلر والعالم الفرنسى جورج دومزيل بتحليل دقيق انه كان لدى شعب الاسقوثيين الكثير من أشعار الملاحم والفروسية مثل تلك التى تحدث عنها هيرودوت وآخرون من كتاب ومؤرخى العصور القديمة .

وقد أشار كل هؤلاء الأدباء الى الكأس الفاخرة التى لا يشرب منها الا الأبطال الممتازون المغاوير ؛ كما أشاروا الى الاعتزاز بالسيوف والحراب والى الاهتمام بالطقوس الجنائزية وغيرها من العادات التى كانت منتشرة فى تلك الأزمان الغابرة .

ومن خصائص عصر تمجيد البطولة والأبطال بالأغانى والأشعار والأفعال خاصية ذات شأن وظاهرة عجيبة ، هى ان اهم اشخاص هذا العصر امرأة اسمها « ساتانا » ، وتعتبر بمثابة الروح لذلك المجتمع البطولى والأم الوحيدة لشعبه ، والمربية والمرشدة الحكيمة للبطلين « سوسلان » و « بترادز » . وهى فضلا عن ذلك تتحلى بسداد النصح والحكمة البالغة والجاذبية القوية ؛ حتى انه ما من شىء يحدث او امر يتم بدون نصيحة منها أو مشاركة لها فيه . وقد يكون من الممكن ان يستغنى الشعب عن بطل من ابطاله المغاوير ولكن من المستحيل ان يستغنى عن « ساتانا » .

وغنى عن البيان أن شخصية كشخصية «ساتانا» لا يتأتى لها الظهور الا فى مجتمع تحتل فيه المرأة مركزا عاليا مرموقا كمجتمع «سارماتس» و « ماساجتس » . كما يشهد بذلك كل كتاب العصر القديم الذين قال احدهم « أن حكام شعب سارماتس حكام من النساء » .

وتشبه « ساتانا » ملكات شعوب اسقوثيو و « ساسيس » و « ماساجتس » ، كما تشبه المحاربات « زارين » و « أماجا » و « توموريس » اللاتى خلد التاريخ أسماءهن . ولكن « ساتانا » ليست ابنة من بنات القوقاز وانما هى ابنة البرارى نشأت فيها وترعرت وتبوأت مركزها العالى .

وأحداث البطولات التى أشرنا اليها فيما تقدم حدثت فى منطقة لا تشبه المناطق الجبلية ولا اقليم الأوسيتيين ، فقد اتخذ الأبطال من البرارى والبحار والبحيرات مسرحا لما قاموا به من حروب ومغامرات .

ولقد أصبحت رياح البرارى واعاصيرها أحداثا ترويها الأساطير ، فتروى فيما تروى ما يصل الى الآذان من أنفاس وديان الاسقوثيو القديمة الشاسعة ؛ ووقع أقدام الخيل وصهيلها ، وركض قطعان الوعول الهاربة من متابعة الصيادين منها بعناد لاقتناصها .

وينحدر شعب « نارتس » المشهور بأبطاله الشجعان من ابنة الملك « دون بيتر » ، وهو شعب يختار أماكن اقامته بجوار الأنهار والبحيرات والبحار ، كما يفعل شعب الاسقوثيو .

ولقد كانت الوعول أفضل الحيوانات لدى شعبى « النارتس » و « الاسقوثيو » ، وكانوا يسمونها « استاسيون » أى التى لها ١٨ عينا . وقد صنعوا تماثيل من الذهب بصورة الوعول بدافع من حبهم لها واعتزازهم بها .

ولقد هاجرت جماعات من هذه القبائل الى أوربا الغربية فى القرن الرابع الميلادى ؛ ودخلت فرنسا .

ويؤخذ من أبحاث أجريت حديثا انه يوجد فى عصر الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة أناشيد وأشعار « نارتسية » لتمجيد الفروسية . ومن ضمنها تأبين « باترادز » المشابه لرثاء الملك آرثر . ولقد حاول هذان البطلان قبل وفاتهما القذف بسيفهما فى بحر أو بحيرة . ولما تحقق هذا بيدهما او بأيدى غيرهما هاج البحر واحمر ماؤه وصار بلون الدم .

وما من وثيقة تاريخية او مخطوط من المخطوطات الأثرية قد نقل الينا عن شعب الاسقوثيو القوقازى الصغير مثل الذى نقلته الينا لغته وفولكلوره حتى الآن .

الجبال سر البرارى

« لا تزال أساطير وفولكلور شعب الأوسيتيين بجبال القوقاز غنية بذكريات البرارى التى استوطنها شعب الاسقوثيو القديم ردحا من الزمن . وفى هذه الصورة شاعر من الشعراء الاوستيونيين الشالين بالاتحاد السوفيتى يغنى الغنية من الأغانى الوطنية على نغمات آلة موسيقية تشبه الكمنجة او الربابة ؛ ويبلغ عدد الجماعة التى ينتمى اليها حوالى ٤٠٠ الف نسمة ، وهم ينحدرون من شعب الاسقوليو القديم .

رواية العصور القديمة (بقية صفحة ١٤)

تمتاز به هذه الآثار . فالمشط المشار اليه ـ على سبيل المثال ـ يتألف من عدد من العناصر الدقيقة صنعت على حدة . ثم لحمت معا فى مادة واحدة محكمة ؛ ثم صقلت بعناية .

ومما يجدر ذكره أن مشهد المعركة قد تم تصويره بالنقش بالبارز مع العناية الفائقة بالتفاصيل . فالحلى التى ازدانت بها الأسلحة . وملابس المقاتلين ، وكذلك عقائص شعورهم ولحاهم ؛ قد نقشت كلها بدقة بالغة .

وتتجلى مثل هذه البراعة فى صنع زهرية تشرتوملك . ولاسيما افريزها . فجميع التماثيل الصغيرة التى تصور الرجال والجياد صنعت على حدة . ولم يتم تركيبها الا عند لحمها بالوعاء .

وترجع الأهمية الكبرى للأدوات التى صنعها صاغة الساحل الشمالى للبحر الأسود الى الموضوعات التى تصورها . كما ترجع الى الضوء الذى تلقيه على هذا الجانب أو ذاك من الحياة الاسقوثية .

وتعلمنا الآثار المكتشفة فى المقابر الشىء الكثير من الأسلحة والملابس والحلى الاسقوثية . ولكن الصورة ـ كما يقال ـ ليست كاملة ولا عميقة . على أننا نجد من ناحية أخرى أن المناظر ذات النقش البارز التى اعدها صانعو الأدوات المعدنية تدل على أن الأدوات التى عثر عليهما الأثريون مستعملة بالفعل ؛ وبذلك تعطينا صورة عن أحوال الاسقوثيين الحقيقية فى كل لحظة من لحظات حياتهم .

ولا شك أن كل هذه الأشياء يرجع أصلها الى حضارة قديمة . وعلى وجه التحديد الى الصناعة الاغريقية ، فقد كانت اغريقية فى طرازها وتقاليدها ولم يكن من الممكن صنعها الا فى اطار الأفكار والقدرات الهلينية التى أثرت فى جميع مراحل انتاجها . بل ان تفاصيلها الثانوية المستمدة من زخارف النخيل ورسوم الوتل والأقنثوس كانت اغريقية فى جوهرها .

على أن كثيرا من الأدوات المعدنية لم تكن اغريقية ، لا فى شكلها ولا فى وظيفتها ؛ فالأوانى الدائرية الشكل التى وجدت فى مقبرة كولا أوبا تشابه كثيرا الأوانى الخزفية فى أقدم حضارة اسقوثية . وقد استخدمت بلا شك فى الحفلات الدينية . وكذلك القلائد والبروشات المستخدمة كحلية للملابس كانت ذات معنى اسقوثى لااغريقى .

ولذلك فان أغلب هذه المواد كانت اغريقية من حيث الصناعة ، ولكن اسقوثية من حيث الشكل ؛

وكانت الصور التى ازدانت بها تمثل الاسقوثيين أنفسهم باجماع العلماء الملمين بتاريخ الاقليم الواقع شمال البحر الأسود .

ولا ريب أن الاسقوثيين كانوا محاربين والدليل على ذلك أنهم يظهرون فى كثير من الصور مشتركين فى المعركة أو مستريحين فى وسط المعارك . ولكن الفنانين صوروا لنا أيضا مناظر يغلب عليها الطابع السلمى . مثال ذلك أن زهرية مقبرة تشرتوملك تظهرهم منهمكين فى عمل من أعمال البدو الرحل ، وهو تقييدهم خيولهم بالحبال وشد قوائمها بالشكال .

وقد صوروا لنا أيضا بعض مناظر الصيد ، ففى آنية فضية اكتشفت فى مقبرة سلوخا تظهر جماعة من الفرسان الاسقوثيين تصحبهم كلابهم ؛ ممسكين بتلابيب مخلوق غريب شبيه بالأسد له قرون ، يمسك جوادا من رجله ، فأخذ واحد منهم يلوح برمحه مهددا ، وآخر يصوب قوسه وسهمه ؛ واشترك زميلاهما فى المعركة وكانا مسلحين مثلهما .

ولكن بعض البروشات الذهبية الصغيرة المستعملة فى تزيين الملابس ، والمكتشفة فى مقابر كول أوبا ، وسلوخا ؛ وتشرتوملك ، تمثل مناظر مختلفة عن ذلك تماما ، ومرتبطة بالحفلات الدينية بلا شك . أحدها يوضح مؤلهة (قلما تظهر المرأة فى صور صانعى الأدوات المعدنية فى شمال البحر الأسود) تجلس على العرش وبيدها مرآة ، ويجلس امامها رجل اسقوثى يرتشف جرعة سحرية من فنجان على شكل قرن .

ويظهر فى بروشات أخرى فنجان مماثل يشرب منه فى وقت واحد اسقوثيان راكعان ؛ ويعتقد أن هذا من مراسم أداء اليمين المماثلة لما ذكره هيرودوت .

وليس من شك فى أنه لا يمكن بسهولة تفسير جميع المناظر التى تزدان بها الأدوات المعدنية فى المقابر الاسقوثية . والواقع أن هناك عددا ليس بالقليل يصور شئونا أعمق من شئون الحياة اليومية . وقد قيل ان هذه الشئون ذات مضمون ايديولوجى (فكرى) او ميثولوجى (أسطورى) وانها توضح الملاحم التى انتشرت فى المجتمع الاسقوثى (انظر ص ١٥) .

ولنعاود الحديث عن المظهر الخارجى للاسقوثيين كما يتضح من هذه الصور فنقول : ان قسمات وجوههم منتظمة . ونظراتهم صارمة . وشعورهم طويلة تتهدل على أكتافهم ، ولهم شوارب ولحى فى أغلب الأحوال .

وقفاطينهم ذات صفين من الأزرار ؛ وهى موشاة بالفراء ، ومطرزة بالرسوم . وهم يلبسون أحذية خفيفة وقصيرة ، ويضعون على رؤوسهم قلانس شبيهة بالبرانس . ويظهرون فى معظم الصور حاملين للسلاح ، وهو عبارة عن سيوف قصيرة ؛ وقسى ، وسهام ، يحملونها فى جراب يتدلى من أحزمتهم ؛ ورماح ؛ وفؤوس حرب ، ودروع . وتروس . وفى كثير من الحالات يلبسون خوذات ودروعا معدنية .

وكان الصناع الأغارقة المكلفين بعمل هذه الصور ملمين بموضوعاتهم كل الالمام ، ويتجلى هذا فى أدق تفاصيل تماثيلهم ومناظرهم .

وقد تم انتاج كل ما ذكرناه من الأدوات فى القرن الرابع ق.م عندما احتل الاسقوثيون كل المنطقة الواقعة حول الساحل الشمالى من البحر الأسود وبحر أزوف ، وعندما بلغ ملوكهم أوج السلطان والثراء .

وفى هذه الفترة شيدوا مقابرهم الملكية الرائعة التى اكتشفت بجوار نهر الدنيبر ، وعثر فيها على كثير من نماذج الأدوات المعدنية الثمينة التى كلفوا الصناع الأغارقة باعدادها مشترطين عليهم أن تصنع طبقا للطراز الاسقوثى .

وهناك مجموعة أخيرة من الأدوات المعدنية تصور بعض الآلهة الاسقوثية التى ورد ذكرها فى تاريخ هيرودوت . مثال ذلك أن بروشا ذهبيا عثر عليه فى مقبرة تسمبلكا يوضح فيما يبدو المؤلهة آبيا فى صورة أفعى ؛ فى حين يظهر البطل الأسطورى تارجيتوس وهو يصارع هولة من الهول .

وقد حدثت كشوف أثرية جديدة بعد الكشوف الرائعة التى عثر عليها الأثريون الروس فى بداية الأمر . وقد عثر فى السنوات الأخيرة فى مقابر السهوب الأوكرانية على مجوهرات وحلى مماثلة لما عثر عليه فى مقابر كول أوبا ، وتشرتوملك ، وسلوخا . ترى هل تكون هناك كشوف جديدة ؟ من الصعب الاجابة عن هذا السؤال ، ولكن أغلب الظن أن الأرض لا تزال تخفى المفتاح الذى يكشف النقاب عن أحداث جديدة فى تاريخ الاسقوثيين القدامى .

من هنا و هناك

تقوم اليونسكو باعداد دراسة عالمية عن تعطل الشبان عن العمل ، ومن بينهم الشبان الذين لم يحصلوا حرفة من الحرف أو الذين كانت مدة تعليمهم قصيرة • وتتناول هذه الدراسة الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ سنة و ٢٥ سنة بصفة خاصة • ويجرى اعدادها بالتعاون مع المكتب الدولى للعمل وسوف تصدر اليونسكو بيانا موجزا عن نتائجها ، كما ستقدم معلومات عن البرامج الموجودة لحل المشكلات وتذليل العقبات •

التخطيط للتربية والتعليم

يعلن معهد التخطيط الدولى للتربية والتعليم ؛ وهو مركز عالمى للتثقيف والأبحاث الخاصة بالتربية ، أنه على استعداد لأن يقدم لمن يريد قائمة كاملة عن المؤلفات التى أصدرها منذ انشائه فى باريس عام ١٩٦٣ بواسطة اليونسكو • وتحتوى هذه القائمة التى طبعتها مطابع اليونسكو على ٤٠٠ عنوان لهذه المؤلفات • ومن الموضوعات التى تضمنتها تقارير عن الأبحاث ودراسات عن حالات عديدة ومعلومات عن المعاهد الدينية والعلمانية ، ومقالات عن موضوعات متنوعة ومراجع عامة الخ • ولمزيد من المعلومات يمكن الاستفسار من دار النشر التابعة لمعهد التخطيط الدولى للتربية والتعليم ٧ ـ ٩ شارع أوجين ديلكروا ١٦ • ٧٥ باريس •

التعليم باللغة الوطنية

عالجت مجلة « مستقبل التربية » التى تصدرها اليونسكو كل ثلاثة اشهر مسألة التعليم باللغة الوطنية ؛ وخصصت لهذه المسألة قسما معينا يحتوى على ثمانى مقالات فى العدد الثالث من أعداد سنة ١٩٧٦ • وقد أسهم فى تحرير هذه المقالات اخصائيون من الهند والاتحاد السوفيتى وفرنسا ونيجيريا وسرى لانكا وبيرو ويوجوسلافيا وكندا • وتعالج هذه المقالات موضوعات من بينها : « التخطيط فى مجالات اللغات والتعليم والتنمية » و « مشكلة اختيار اللغات فى أفريقيا » ، و « تدريس العلوم باللغات الوطنية » ، و « التجربة السوفيتية فى تعليم اللغات » • وثمن العدد من المجلة ٩٫٥٠ فرنك ؛ وقيمة الاشتراك السنوى ٣٢ فرنكا •



ميدالية من اجل قرطاجة

أعدت اليونسكو برنامجا لصيانة آثار قرطاجة واصدرت بمقتضى هذا البرنامج ميدالية جديدة تتيح لمن يقتنيها المشاركة فى هذا البرنامج العالمى . وتحمل الميدالية صورتين • احداهما صورة سيدة قرطاجية، ومصحوبة بزخرفة رومانية . والأخرى صورة فارس من فرسان ذلك العصر القديم .

وفاة الكسندر كالدر

توفى النحات الأمريكى الكسندر كالدر أحد كبار الفنانين فى القرن العشرين بمدينة نيويورك يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٦ عن ٧٨ سنة • وقد اكتسب شهرة عالية بفضل تماثيله التى يمكن نقلها من مكان الى آخر ، وقد بدأ انتاجها عام ١٩٣٢ • وترى روائعه الفنية فى عديد من مختلف أنحاء العالم ، ومن بينها تحفة يبلغ ارتفاعها حوالى ١٠ أمتار أمام أحد مداخل قصر اليونسكو بباريس منذ عام ١٩٥٨

مجلة رسالة اليونسكو
واسرتها الكبيرة فى انحاء العالم

احتفلت مجلة « رسالة اليونسكو » التى تصدر باللغة الروسية فى موسكو بمرور عشرين عاما على صدورها فى آخر ديسمبر ١٩٧٦ • وكانت هذه الطبعة الروسية أول الطبعات التى صدرت خارج مقر اليونسكو (فى يناير ١٩٥٧) وقد تلتها طبعات اخرى بلغات مختلفة بعد بضع سنين • وهى : ألمانية (برن فى سبتمبر ١٩٦٠) ؛ وعربية (القاهرة فى نوفمبر ١٩٦٠) ، ويابانية (طوكيو فى ابريل ١٩٦١) ، وايطالية (روما فى يناير ١٩٦٣) ؛ وهندية (دلهى الجديدة) وتامولية مدراس ، وكلتاهما فى يوليه ١٩٦٧) ، وعبرية (القدس فى سبتمبر ١٩٦٨) ؛ وايرانية (طهران فى مايو ١٩٦٩) ، وترلندية (أنفرس) وبرتغالية (ريودى جانيرو وكلتاهما فى أكتوبر ١٩٧٢) ؛ وتركية (استانبول فى مايو ١٩٧٣) • ومن المرتقب اصدار طبعتين أخريين فى أوائل هذا العام ١٩٧٧ ، مما يرفع عدد الطبعات الى ١٧ طبعة و ١٧ لغة • ومن المحتمل أيضا اصدار الطبعة الثامنة عشرة باللغة السواحلية فى كينيا او تنزانيا ، وهو احتمال لا يزال قيد البحث والدراسة •

LECTURES

■ **Culture artistique et enseignement supérieur**
Les intérêts artistiques de loisir chez les étudiants
par Robert Francès, Pierre Roubertoux et Michel Denis
École des Hautes Études en Sciences sociales et
Éd. Mouton et Co.
Paris — La Haye 1976
Prix : 58 F

■ **Le diagnostic en psychiatrie infantile**
Pièges, paradoxes et réalités
par Michel Lemay
Éd. de Fleurus
Paris 1976. Prix : 38 F.

■ **Les Andes**
Les grandes étendues sauvages
par Tony Morrison et la rédaction des éditions Time - Life.
Éd. Time - Life International
Amsterdam 1975. Prix : 65 F.

■ **Eux, les hommes**
par Catherine Valabrègue
L'auteur fait le point sur les réactions des hommes face au désir de libération des femmes
Éd. Stock. Paris 1976.
Prix : 25 F.

•

Pour tous les livres ci-dessus s'adresser à son libraire habituel. Ne pas passer commande à l'Unesco.

PUBLICATIONS UNESCO

■ **La participation de la jeunesse au processus de développement : une étude de cas au Panama**
par Luis A. Gomez de Souza et Lucia Ribeiro
Les Presses de l'Unesco
Paris 1976. 108 pages
Prix : 12 F

■ **Les aspirations des jeunes travailleurs migrants en Europe occidentale**
par Robert de Montvalon
Les Presses de l'Unesco
Paris 1976. 37 pages
Prix : 6 F

■ **La politique culturelle du Ghana**
Etude préparée par la Division culturelle du Ministère de l'éducation et de la culture du Ghana
Les Presses de l'Unesco. 53 pages
Prix : 6 F

■ **Lois et traités sur le droit d'auteur Supplément 1973**
Recueil établi par l'Unesco et l'Organisation mondiale de la propriété intellectuelle
Les Presses de l'Unesco et Librairie générale de droit et de jurisprudence. Paris 1975
1012 pages. Prix : 185 F

كيف تحصل على مطبوعات اليونسكو

جمهورية مصر العربية
مركز مطبوعات اليونسكو
١ ـ شارع طلعت حرب
تليفون : ٢٢٤٠٢

الأردن : يوسف باحوس وشركاه دار الكتب ، طريق السلطة صندوق بريد ٦٦ عمان
السودان : مكتبة البشير ، صندوق بريد ١١١٨ الخرطوم
العراق : مكتبة ماكنزى ـ بغداد
سوريا : مكتبة صايغ ـ دمشق



كنوز الفن السيبيرى المصونة فى الجليد لمدة ٢٥٠٠ عام

قبل العصر المسيحى بخمسة قرون نحت فنان بدوى من سهوب اقليم الطاى بسيريا (جنوب غربى بحيرة بايكال) هذا الموضوع الحيوانى الرائع فى الخشب . وهو يصور غرفينا – وحش اسطورى مفترس مجنح – معه راس ايل بين فكيه . وقد شكلت قرون واذنى الأيل . وعرف الغرفين من الجلد . وعلى رقبة المسخ الأسطورى ظهر غرفينان صغيران يهاجمان اوزة . وقد اكتشفت هذه الزخرفة (ارتفاعها ٣٥ سم) فى قبر متجمد بجبال الطاى عام ١٩٤٩ (انظر المقال ص ٣١) .